آي.. كارميلا

مرثية عن حرب أهلية

سنابل للكتاب
٥ شارع صبرى أبو علم
باب اللوق - القاهرة
الإدارة :
(+202) 23 92 65 93

المكتبة :
(+202) 23 93 56 56

e-mail
sanabooks@maktoob.com
web:
www.sanabil.net

المدير العام:
أحمد مرجان

آى.. كارميلا
مرثية عن حرب أهلية

ترجمة وتقديم:
عبد الهادى سعدون

لوحة الغلاف:
كريم سعدون

رقم الإيداع: 2012/8779
الترقيم الدولى: 978-977-5255-02-0
الطبعة الأولى :2012

حقوق الطبع محفوظة للناشر

خوسي سانشيس سينسترّا

آي.. كـــارميـــلا

مرثية عن حرب أهلية

ترجمة وتقديم:

عبدالهادي سعـــدون

هذه هي الترجمة العربية لكتاب:

Autor: José Sanchos Siniestra

Traducción al árabe: Abdul Hadi Sadoun

تم دعم ترجمة هذه الكتاب من قبل المديرية العامة للكتب والأرشيف

والمكتبات في وزارة الثقافة الإسبانية

GOBIERNO DE ESPAÑA MINISTERIO DE CULTURA

مقدمة

ولد خوسي سانشيس سينيستّرا في مدينة بالنثيه عام ١٩٤٠. بدأ منذ الرابعة عشر من عمره اهتمامه بالمسرح وكتب نصوصه الأولى فيها. انتهي من دراسة الأدب والفلسفة عام ١٩٦٢. انشغل طوال مدة دراسته الجامعية بإدارة الأنشطة المسرحية فيها. وبدءاً من عام ١٩٥٧ أدار عدة فرق مسرحية مستقلة في جامعة بالنثيه إلى نهاية عام ١٩٦٦ ليتفرغ للتدريس.

أتيحت له في عام ١٩٦٠ فرصة السفر لباريس بمنحة دراسية ليدرس على يد أهم مخرجي المسرح ويتعرف على نظريات المسرح وكُتاب المسرح في العاصمة الفرنسية مثل باراو وجوفيه وآرتود وبالأخص على العوالم المسرحية لـ بريخت، مما شكل له متنفساً للتعمق والاستزادة بعيداً عن رقابة واستبداد النظام الفرانكوي في بلده إسبانيا. بعد عودته لإسبانيا انشغل بشكل رئيسي بالعمل في ورش المسرح المستقلة والجامعية منها على وجه الخصوص، كما شارك بفعالية في مجلة المسرح المعروفة (المشهد الأول Primer Acto) وغيرها من المجلات والمنشورات المتخصصة بالمسرح والأدب.

أثناء سنين عمله كمدرس للأدب، انشغل بنقل التجارب الكلاسيكية الإسبانية والعالمية لخشبة المسرح وحقق نجاحات متتالية مع أعمال كتاب مثل: ثربانتس، لوبه دي بيغا، موليير، شكسبير، وكذلك لكتاب معاصرين مثل: تشيخوف، بيراندييللو، أونيل، بيكيت، سترندبرغ وغيرهم.

أسس وأدار عام ١٩٧٧ فرقة المسرح الحدودي أو المتآخم (Teatro Fronterizo) وبدأ فعلياً بنقل نصوصه الأولى أو استلهاماته المسرحية لنصوص عالمية للعرض كما عليه (أسطورة كلكامش ١٩٧٨) و(ليلة مولي بلوم ١٩٧٩) المستوحاة من الفصل الأخير لرواية جيمس جويس المعروفة (يوليسيس) و(مسرح أوكلاهوما الكبير ١٩٨٢) عن نصوص لـ كافكا، و(تقرير عن العميان ١٩٨٢) عن رواية أرنستو ساباتو المعروفة (عن الأبطال والقبور) و(موبي ديك ١٩٨٣) عن رواية هرمان ميلفل بالإسم نفسه و(رسالة الساحرة ١٩٨٧) عن رواية (رايويلا) لـ كورتاثار، و(تاريخ الأزمنة المتصارعة ١٩٧٩) المستوحاة من نصوص متعددة لـ بريخت، يضاف لها تحويره لمسرحية بريخت المعروفة (رعب وفقر في زمن الرايخ الثالث) لتناسب أوضاع إسبانيا أثناء الحرب الأهلية لتكون بالعنوان التالي (رعب وفقر في زمن الفرانكوية الأولى).

في العام ١٩٨٠ نشر في كتاب وعرض مسرحيته المهمة (إنياكي أو عن القمل والممثلين) التي كانت علامة لمعظم نصوصه القادمة خاصة في مسألة الموضوعة الهامشية والتعكز على نصوص شعبية متداولة. وهو النص المسرحي بامتياز مع مسرحية (آي.. كارميلا) اللتان تعدان أفضل ما قدمه المؤلف في مسيرته المسرحية الطويلة والتي تتعدى نصوصها أكثر من أربعين نصاً مسرحياً بين منشور ومخطوط. في قائمة مؤلفاته الطويلة التي يمكننا اختصارها هنا بذكر بعضها الآخر كما عليه: جرائم وجنون الخائن لوبي أغيري ١٩٨٦، غناء الضفدعة ١٩٨٧، كومبارس ١٩٨٨، باليريا والعصافير ١٩٩٢، حصار لنينغراد ١٩٩٣، العام الماضي في تولوز ١٩٩٨، سِهام الملاك

المنسي ٢٠٠٤، ماكنة الإحتضان ٢٠٠٩، دم قمري ٢٠١٠، إضافة لنشره لأكثر من خمسين نصاً مسرحياً قصيراً كتبها على مدار حياته المهنية والتي جمعها عام ٢٠٠٨ تحت عنوان موحد هو (مسرحيات قصيرة).

بدءاً من العام ١٩٨١ أدار(جمعية المسرح الطليعي) برفقة مخرجين ومؤلفين من جيله، والتي أتاحت له ولإبناء جيله نقل أعمالهم وتجاربهم وتسيد خشبة المسرح الجاد في إسبانيا، ومن ثم تسليط الأضواء على نتاجاتهم وترأسهم لمختلف المهرجانات المسرحية وكذلك فوز أغلبهم بأهم جوائز الأدب في إسبانيا وأميركا اللاتينية منها حصول مؤلفنا على أغلب جوائز المسرح والأدب المعروفة في بلده مثل: الجائزة الوطنية للمسرح عام ١٩٩٠، جائزة غارثيا لوركا للمسرح ١٩٩١، جائزة المسرح المتميز لمدينة برشلونة عام ١٩٩٨، جائزة ماكس لأفضل نص مسرحي عن نص (آي... كارميلا) عام ١٩٩٩ و الجائزة الوطنية للدراما عام ٢٠٠٤ عن مسرحيته (رعب وفقر في زمن الفرانكوية الأول).

من خلال هذا النص (آي.. كارميلا) الذي نقدمه مترجماً إلى العربية للمرة الأولى، نلاحظ عدة نقاط مشتركة في أغلب نصوصه المنشورة، ففي أعماله دائماً ما يحاول سانشيس سنيستّرا العثور على وحدة ديناميكية تجمع ما بين التقليد المسرحي الشائع والخطوط الدرامية المعاصرة، أي الخلط ما بين الخيط التقليدي في الحكاية ومحاولة مزاوجتها بعناصر حديثة تستفيد مما هو شائع ومتوفر في الطبيعة المجاورة. في أعماله هناك جمع ما بين التجريب والبحث المهموم عن الممكن من خلال الربط ما بين الحياة المجردة وطرق

تحقيقها. هذا البحث المحموم من قبل المؤلف نستطيع حصره في مظاهر محددة وهي:

١ــ لا حدود ممسرحة للنص (ضمن حيز التناص النصي بين الحبكة المبتكرة والنصوص المستوحاة لكتاب آخرين أو لأساطير وحكايات شعبية متداولة).

٢ ــ إشراك المتفرج (الجمهور عموماً) بهموم خشبة المسرح ومتنه، وبالتالي تداخله التدريجي بأغطية النص وجلدته الحاضنة، وهو هنا لا ينشغل بفهم الجمهور من عدمه، بقدر المشاركة الفاعلة من خلال النظرة ومراجعة الحدث مرة وأخرى ولأكثر من زاوية.

٣ ــ التخلص قدر الإمكان من كل العناصر المجاورة التي تشكل عصب المسرح التقليدي عادة كما هو عليه الديكورات والإكسسوارات المساعدة (كذلك العناصر الأخرى المساعدة في العملية المسرحية كالحيل والخطط الغامضة المشوقة)، مما يعني تواصلاً مباشراً دون وسيط كحال المسرح الفقير المعروف عالمياً، أو ما أصطلح على تسميته بـ (المسرح الحدودي أو المتآخم) الذي يحاول قدر الإمكان المجاورة اللصيقة ما بين النص والمتلقي.

٤ ــ يدافع من خلال مسرحه بالحاجة لتسييج أو تزويق العرض بالفنون الأخرى أو العلوم التطبيقية وهو ما يسميه بـ (المسرحة الأصغر)، كنمط مختلف تماماً عن مسرح الفرجة أو المسرح التجاري المتعارف عليه.

غير ذلك، يعرف عن مسرح ونصوص سانشيس سينسـتّرا هـو إلتزامه إلى أبعد حد مع قضايا المهمشين والعلاقات الإنسانية المتأزمة في الأزمنة الصعبة، كما هو عليه أغلب نصوصه المتعلقـة بظـرف بشري صعب أو وضع عالمي كما عليه الحروب. هو لا يتخـذ مـن القضايا الكبرى الحجر الصلب بتناول الموضوعية، بقدر ما يركز على الهامش منها، مثل مسرحيتنا (آي.. كارميلا) التي نقدمها هنا، ففيها لم يتناول موضوع الحرب الأهلية الإسبانية بنسقها الأكبر، بل من خـلال الحياة الهامشية لإثنين من عموم الشعب، بل من طبقاتها الدنيا وأكثرها إلتصاقاً بالبشر من خلال ما يقدمانه من فن والإحساس بالمعاناة بأشـد صورها قرباً و تأثيراً.

مسرحية (كارميلا): الحرب تمثيلاً !

" كلنا أولاد للشجاعة المضحية كارميلا... أو للجبان بـاولينو أو لأحد منْ قتلتها! "

المسرحية كما يسمها مؤلفها ليست عملاً عـن الحـرب الأهليـة الإسبانية بل عما تحدثه الحروب من شرخ في الضمير البشري. وهي على هذا عمل يأخذ من الحرب نفسها الزمن والمكان لتطوير الحـدث. فالمسرحية كما يشير المؤلف من ضمن عناوينها الثانوية هي (مرثيـة عن حرب أهلية) وعلى الرغم من أننا نعرف بأن مؤلفها الإسباني يعني ويصور لنا ما يدور لبطليه إثاء وقائع الحرب الأهلية الإسبانية الدموية، فهو هنا في إشارته المجردة (عن حرب أهليـة) أراد بهـا أن تكـون علامة لمعاناة البشر في أية حرب أهلية أخرى تدور ودارت في العالم أجمع، فالمأساة والدمار والبشاعة هي ذاتها سواء جرت في إسـبانيا أو في العراق مثلاً.

يتخذ المؤلف من بلدة بلشيته مكاناً للحدث، وهي إشارة مباشرة وإن جاءت بصفة النفي "الواقعة لم تحدث في بلشيته، في شهر مارس من عام ١٩٣٨"، في ممانعة هي الأخرى دليل على أن المكان من الممكن أن يكون في بلشيته أو أي مكان آخر، وتحديد الفترة الزمنية إنما هو تذكار قاطع بما جرى لتلك البلدة من دمار حقيقي، حتى غدت رمزاً للمقاومة والصمود آنذاك، وهي اليوم أنقاض بلدة تزار من قبل السياح والمتمعنين بأهوال الحرب أو الدارسين لها. (بلشيته) البلدة بما عانته من ظروف وتدمير شامل تلخص كل ظروف شراسة الحروب، وهي أيضاً ـ حسب مؤلفها ـ تدفع بالعقدة وحبكة المسرحية دفعاً نحو الظهور الخارق للحدث وتعري شخصياتها تماماً بحيث لا رجوع للأمس بعد ذلك.

إن بطلي المسرحية (باولينو وكارميلا) من خلال عملهما كممثلين هامشيين في مسارح إسبانيا القروية آنذاك، يشكلان الجانب الإنساني المتواضع والغني في آن واحد، لكنهما يعنيان أيضاً الوجه الحميم للبشر ونقيضه الممكن، الجبان والمخاتل. إن الوعي السياسي للبطلين يتشكل إثناء قمة الحدث لا قبله ولا بعده. والمؤلف هنا يمنح بطليه القدرة على القبول والنقض تبعاً للحظة والدور والموقف. شخصيتان إنسانيتان بكل حذافيرها، لا تنشدان بطولة ولا أي نوع من التفاني الوطني، بقدر ما تنشدان السلام مثل غيرها من الشخصيات الحقيقية في أزمنة الحرب. المواقف تتباين و تتمكيج، تبرز أو تدفن نفسها، تعلن أو تضمر، فهي في كلها لا تختلف عن أي إنسان آخر في أزمنة متشابهة وإن كانت في أمكنة وظروف مختلفة، مما يجعلها لصيقة بالهم البشري وقريبة التماثل والتقبل من قبل الجمهور.

إن النص في حد ذاته هو تنويع على المسرح وفنونه. إن بطلي المسرحية يقدمان لنا المسرح من داخل المسرح، شخصيتا ممثلين يشرحان ظروف حياتهما إثناء الحرب الأهلية من خلال ما يقدمانه من عروض مسرحية متنقلة في البلاد. هما يمثلان، يرقصان ويغنيان، يجعلانا نضحك لوضعهما في العديد من المواقف ونبكي ونتأثر في غيرها، إذ يدفعان بنا كمشاهدين وقراء لأن نمارس دورنا من خلال عملهما المزدوج من داخل خشبة المسرح، مما يعني تواطؤنا الدائم مع العرض بإرادة أو غيرها. إن عملهما هو مونتاج لأعمال مفترضة تقدم في زمن الحرب، لكنه حقيقة نوع من التجلي لاكتشاف التنوع والتغير البشري وكأنه نوع "حرباوي" في تبدل الألوان والكيفيات المتشكلة مع مرور الوقت.

إن المسرحية تعتمد على الفقر في المسرح والتقليل الممكن من الديكورات والإكسسوارات المرافقة، بهدف لا يخرج عن (شروط مسرحه الحدودي أو المتآخم)، بل ويتلاءم مع شروط الظرف نفسه، ومع إمكانيات الممثلين في تلك الظروف. استفادة مقننة الغرض منها يصب في خدمة النص وإبراز قوته التمثيلية من خلال الحواريات المطولة والمواقف المتشعبة وطرق السرد المتغيرة والمكررة في كل فصل منها. هي إعادة للتأكيد على موقف، قطعه دون الوصول لذروته، لنعود مجدداً في الفصل التالي لإكمال ما تركناه هناك، هذا دون أن يخل بالحوار ولا النص نفسه. إن نصاً مثل (آي.. كارميلا) يعتمد الحركة المسرحية وتطويق الممثلين في حيز لإبراز كل تلك المشاعر والموقف المتدفقة كي تبرز سواء كان الظرف تحت أضواء المسرح أو في عتمة الروح البشرية أو عتمة الظلام في أزمنة الحروب الشرسة.

في (آي.. كارميلا) يعود المؤلف سانشيس ليتخذ من أهوال الحرب حدثاً لحكاية هامشية، هنا عبر الزوجين باولينو وكارميلا، أحدهما كشخصية خائفة مترددة والأخرى مندفعة ومتأثرة. كلاهما يصعدان بالحدث الإنساني لأبعد مدى، وكلاهما لا يتوانى عن أن يذكرنا بأننا نشبهه في ظروف مماثلة. قد ننتصر لباولينو في مواقفها الشجاعة، ولكننا لن نخجل من إبداء تقاربنا مع الجبان باولينو، لأننا بأية حال من الأحوال لا بد وأن نكون إبناً لكليهما، لاحدهما أو لواحد من القتلة.

إن مسرحية (آي.. كارميلا) هي تأكيد محتمل لقصة خيالية في ظل ظرف تاريخي درامي واقعي. وهي درس بآن واحد للتيقن من الشرط البشري في أزمنة الخراب.

بتقديمنا لمسرحية (آي.. كارميلا) للقارئ العربي، إنما نريد بذلك أن نركز على موضوعات إنسانية مشتركة، ولنمحنها حقها بالترجمة بعد أن تم ترجمتها للغات عديدة وتقديمها على مسارح عالمية مختلفة وبلغات متنوعة. كما أننا ننقل هنا النص الأساس لما قام بتقديمه للسينما المخرج كارلوس ساورا بفيلم حمل العنوان نفسه وحاز على جوائز عالمية مختلفة، للتذكير كذلك بأن مؤلفاً مثل سانشيس سينيسترا لا يقل شأناً عن مسرحيين أوربيين آخرين، بل بإضافاته وكتاباته وتنظيراته، يعد اليوم واحداً من أهم الأصوات المسرحية في أوربا والعالم.

المترجم

آي.. كارميلا

مرثية عن حرب أهلية

(مسرحية في فصلين وخاتمة)

(إلى أبي)

الشخصيات:

كارميلا

باولينو

" الواقعة لم تحدث في بلشيته[1]، في شهر مارس من عام ١٩٣٨"

١ بلشيته في إقليم آراغون، كانت مسرحاً لحرب متبادلة بين الجمهوريين والقوات الفرانكوية، مما يذكر أنها المدينة الأخيرة التي خرجت منها القوات الدولية المناصرة للجمهوريين منهزمة.

الفصل الأول

(خشبة مسرح فارغة، تسيطر عليها العتمة. بصوت "كليك" يعتلق ضوء تدريبات، وبعد وقت قصير يدخل باولينو: ملابس قذرة، غير أبالي، يحمل بيده قنينة نبيذ. يتمعن خشبة المسرح. يشرب جرعة نبيذ. يعاود التمعن. يقطع خشبة المسرح وهو يحل أزرار بنطلونه ويختفي في الجانب المعاكس. وقفة. يدخل من جديد، وهو يغلق الأزرار. ينظر مجدداً. يُرى في العمق، بمستوى الأرض، فونغراف قديم. يمضي ليقترب منه ويحاول تشغيله. لا يعمل، يستخرج الاسطوانة منه بنية تحطيمها، لكنه يتوقف ويعود لحشرها في الفونغراف. مقرفص بشكل دائم وظهره للجمهور، يشرب جرعة أخرى. يكتشف بنظره قطعة قماش على الأرضية ، في زاوية أخرى بالخلفية. يمضي نحوها ويرفعها، يمسك طرفها بأصابعه: عبارة عن علم الجمهورية[٢] نصف محترق.)

باولينو(مترنماً):

...أبداً لا تستطيع القنابل

رومبا، رومبا، رومبا يا

حيث يطفح القلب

---

٢ علم الجمهورية الإسبانية يتشكل من ثلاثة ألوان هي الأحمر والأصفر و الزهري.

آي.. كارميلا، آي.. يا كارميلا.[٣]

(يعود بالقرب من الفونغراف ليغطيه بالعلم. ما أن ينحني حتى تهرب منه ضرطة صاخبة. يتوقف للحظة، لكنه يعاود العمل. بانحناءة مرة أخرى، يتعالى هذه المرة وبتحرر، سلسلة متتالية من الضراط تحاكي صوت بوق. يضحك بإفراط. يلتف حول نفسه وينظر باتجاه الصالة. يتقدم نحو مقدمة الصالة، يستعد ويحيي بتحية عسكرية. ضرطة جديدة. يرفع ساعده الأيمن بتحية فاشية وينشد:)[٤]

في هضبة لوس أنخلس[٥]
حيث تحرسها الملائكة
قتلوا المسيح!
تنزف الحجارة دماً
لكن لا تفزعي يا أمي
فكل قشتالة مدججة بالسلاح
ومدريد تُرى عن قُرب.
ألا تسمعي؟ فرانكو ولتعش إسبانيا!
شجرة اللبلاب الأحمر محاصرة

---

٣ أغنية شعبية شائعة في وقتها، وهناك تفاوت بين حفظتها وإن لا تخرج عن المحتوى الأساسي وهي تخليد لمعركة الإيبرو. على أية حال مؤلف المسرحية في الطبعة الأولى للمسرحية (١٩٨٩) لا يستخدم هذا النشيد بل نشيد مبتكر يقول فيه:
ثلاثة ألوان لسماء/ إسبانيا عند الفجر./ ثلاثة ألوان للعلم/ الذي ندافع عنه..

٤ الأبيات التالية مستلة من قصيدة طويلة بعنوان (رومانث قشتالة في حالة حرب) وهي من ضمن أناشيد الفرانكوية إثناء الحرب الأهلية الإسبانية.

٥ هنا لعب على نفس المعنى (لوس أنخلس) معناها الملائكة، في البيت الأول أسم لمكان الواقعة وفي الثاني الملائكة الحرس.

تموت بحراب البنادق.
اللحم ظاهر
والحناجر ممزقة.
والسيد بقميصه الأزرق[٦]
ممتطياً صهوة جواده في السماء...

(ضرطة جديدة. يضحك بلا توقف. فجأة، يظن أنه يستمع لصخب يأتي من خلفه فيجفل. يستعد للهرب، لكنه يتوقف. على طرف كواليس المسرح ينتشر ضوءً أبيض، كما لو فتح باباً. ينحني باولينو خائفاً).

باولينو: من هناك؟

(تدخل كارميلا، ترتدي ثوب حفلة مثير)

كارميلا: مرحباً باولينو.

باولينو: (مطمئناً) أهلاً حبيبـــ... (يقفز) كارميلا! ماذا تفعلين هنا؟

كارميلا: ها أنا هنا.

باولينو: هذا مستحيل... (للقنينة) لكنني لم أشرب كثيراً...

كارميلا: لا، ليس بسبب النبيذ. هذه أنا حقيقية.

باولينو: كارميلا...

كاميلا: نعم، أنا كارميلا.

باولينو: لا يمكن ... (ينظر للقنينة)

---

٦ (السيد) البطل القومي الإسباني في القرون الوسطى، رمز الوحدة وطرد المحتل، في القصيدة بنفسها الفاشستي، يعتبرونه واحداً منهم بقميصه الأزرق قيافة ملابس ميليشيات الفالانج اليميني.

كاميلا: طبعاً ممكن. لأنني تذكرتك هكذا، فجأة.

باولينو: هكذا؟

كارميلا: أجل، هذا هو. تذكرتك، وها أنا هنا.

باولينو: تركوك تمضين بسهولة؟

كارميلا: كما ترى.

باولينو: بسهولة؟

كارميلا: حسن، لم يكن بهذه السهولة. كلفني جهداً العثور على هذا المكان.

باولينو: لكن، هل جئت هكذا، سيرا، كما لو لم يكن شيئاً يذكر؟

كارميلا: هيه ما أكثر أسئلتك. لو سمعك أحدهم لقال أنك غير سعيد برؤيتي.

باولينو: غير سعيد؟ كيف هذا، سعيد بالطبع، سعيد.. لكن أفهميني. كيف يمكنني تصور كل هذا..؟

كارميلا: أعرف أنك تستغرب هذا.. بالنسبة لي ايضاً يبدو أمراً غريباً...

باولينو: أعتقدت.. أنه بعد ذلك.. أنتهى كل شيء..

كارميلا: على ما يبدو أنه لم ينته بالكامل.. بقي بعضاً منه..

باولينو: يا للغرابة.

كارميلا: و تقوله لي..

باولينو: إذاً، هناك، ماذا يوجد؟

كارميلا: لا شيء.

باولينو: لا شيء؟

كارميلا:حسن.. لا شيء تقريباً.

باولينو: لكن، ماذا؟
كارميلا: ماذا عن أي شيء؟
باولينو: ما هي هذه "تقريباً لا شيء" التي هناك؟
كارميلا: لا أعرف.. شيء قليل.
باولينو: وما هو هذا القليل؟
كارميلا: جاف كلياً.
باولينو: جاف؟
كارميلا: أو شيء مثل هذا.
باولينو: تقولين إنه شبيه بهذا؟
كارميلا: شبيه بماذا؟
باولينو: مثل هذا.. مثل هذه الأرض..
كارميلا: تقريباً.
باولينو: جافة...
كارميلا: أجل. جافة جداً، غير جديرة بالذكر.
باولينو: مع شجر؟
كارميلا: القليل منها.. ولكنها ذابلة.
باولينو: وأنهار؟
كارميلا: لكنها جافة.
باولينو: بيوت؟ وقرى؟
كارميلا: بيوت؟
باولينو: نعم. بيوت وبشر...
كارميلا: لا أعرف.
باولينو: لا تعرفين. ماذا تعنين.؟

كارميلا: لا علم لي.

باولينو: لكن هل شاهدتها، نعم أم لا؟

كارميلا: إذا ما شاهدت، ماذا؟

باولينو: بشر، ناس...

كارميلا: بشر؟

باولينو: نعم، بشر، رجال ونساء، مثلك ومثلي.

كارميلا: أجل، شاهدت بعضهم...

باولينو: وماذا؟

كارميلا: ماذا عن أي شيء؟

باولينو: ماذا يعملون؟ ماذا يقولون؟

كارميلا: لا شيء.

باولينو: لا يعملون شيئاً.

كارميلا: لا شيء تقريباً.

باولينو: مثل ماذا؟

كارميلا: لا أعرف. يتمشون، يتوقفون.. يعاودون المشي...

باولينو: هذا كل شيء؟

كارميلا: يتحاككون.

باولينو: يتحاككون؟

كارميلا: حكاك جلدي.

باولينو: حكاك جلدي؟ يمرضون بالحكاك أيضاً؟

كارميلا: هذا ما بدا لي.

باولينو: ياه.. قليلون ويمرضون بالحكاك.

كارميلا: أنتبه إلى أنه مكان شاسع.

باولينو: آه.. لكن.. ماذا يقولون؟

كارميلا: يقولون؟

باولينو: أجل، يقولون، ماذا يخبرونك؟

كارميلا: يخبرونني أنا؟

باولينو: أجل، أنت، ألا يخبرونك بشيء؟

كارميلا: القليل.. لا شيء تقريباً.

باولينو: مثل ماذا؟

كارميلا: لا أعرف... مثلاً "عام سيء".

باولينو: عام سيء... وماذا أيضاً؟

كارميلا: مثلاً "بحفظ الله".

باولينو: وماذا أيضاً؟

كارميلا: مثلاً.. "يا للعجيزة الرائعة"...

باولينو: كيف؟

كارميلا: يا للعجيزة الرائعة.

باولينو: يقولون لك هذا؟

كارميلا: قالها لي أحدهم.

باولينو: من؟

كارميلا: لا أعرف. حتى الآن لم أتعرف على أحد.

باولينو: "عجيزة رائعة".. تباً له؟!

كارميلا: كان هذا ضخماً، أسمر، ماكراً، برأس مشجوجة، مستنداً عند طرف...

باولينو: يا لغرابات العالم!

كارميلا: حسن، العالم...

باولينو: أو أي شيء... وأنت ماذا فعلت؟
كارميلا: أنا؟
باولينو: أجل، أنت، بالتأكيد أعجبك ذلك..
كارميلا: أعجبني.. لم أجد به شيئاً سيئاً.
باولينو: هذا ما ينقصني، وبرأس مشجوجة!
كارميلا: لا تمضي بعيداً، بالرغم من هذا، فقد بدى لي شاباً طيباً...
باولينو: شاب طيب... على ما يبدو أنك بالرغم من كل شيء لم تتغيري...
كارميلا: يا أحمق، ألا ترى أنني أقول هذا لأشعرك بالغيرة؟ حتى أنني لم أنظر له. كما لو أنني بصحة جيدة كي أمضي متغنجة. حتى أنني لا أشعر به، هذا الجسد...
باولينو: يؤلمك؟
كارميلا: ماذا؟
باولينو: هذا.. الـ... هناك...
كارميلا: لا، لا يؤلمني. تقريباً لا أشعر بشيء. كما لو أنه... كيف أشرح لك؟ كما لو تخدرت ساقك، تشعر بها، لكن كما لو أنها لا تنتمي لك...
باولينو: آه.. ومثلاً إذا ما لمستك (يلمس وجهها) ماذا تشعرين؟
كارميلا: أشعر بلمستك.
باولينو: هكذا إذاً؟
كارميلا: أجل، شيء ما ميت، ولكنك تشعر به.
باولينو: يا للغرابة.. أنا أيضاً أشعر بك، لكنني.. لا أعرف كيف أصفه لك...

كارميلا: متراجعة.

باولينو: أجل هو هذا: متراجعة.. يا للغرابة... و... هل أستطيع تقبيلك؟

كارميلا: كلا، تقبلني، لا.

باولينو: ولم لا؟

كارميلا: لا يمكن، لأنني ميتة. الموتى لا يُقبَلونْ.

باولينو: أعرف، لكن...

كارميلا: لا لكن ولا هم يحزنون.

باولينو: حسناً، لا تغضبي...

كارميلا: لأنك لا تُقدر ذلك...

باولينو: المسألة أنني لم أستطع توديعك...

كارميلا: ليس عليك الآن سوى التصبر...

باولينو: طبعاً.

كارميلا: أنا أيضاً متصبرة، ألا ترى ذلك.

باولينو: حقاً؟

كارميلا: لقد كان مريراً.

باولينو: حقاً؟

كارميلا: مرير جداً، أجل.

باولينو: وأنت، لا تحقدين علي للآن؟.

كارميلا: أحقد، لماذا؟

باولينو: إمرأة، بسبب ذاك.. لأنني لم أستطع...

كارميلا: أسمع يا باولينو، كل واحد منا ونفسه.

باولينو: هذا صحيح.

كارميلا: وأنت، لا تفهمني بصورة خاطئة، دائماً ما كنت جباناً.

باولينو: كارميلاً، حباً بالله، أنا...

كارميلا: رعديد يا باولينو، الأشياء كما هي بالحقيقة. أنت على المسرح كالملاك؛ في الفراش كالشيطان.. لكن فيما عدا هذا أنت رعديد.. أليس كذلك؟

باولينو: لكنني يا امرأة...

كارميلا: تتذكر عندما كنا في مدينة أوبييدو حتى لا نمضي لحوادث أخرى، وكنا مع ذلك في صالة الحفلات، ماذا كان اسمه؟

باولينو: دون ساتورنينو.

كارميلا: آه هو ذاك، دون ساتورنينو.

باولينو: يا للشخصية! لا تذكريني به! قداس كل يوم، نائب بلدية، ثمانية أبناء، واحد منهم منغولي والآخر لاهوتي في الكاتدرائية... وهو، في الليل، مدير لأبشع مستودع تفريغ في كل شمال إسبانيا... لا تذكريني به.

كارميلا: أذكرك به لتعرف كم كنت شجاعاً!

باولينو: أنا؟

كارميلا: أجل، أنت. الآن تفرغ كل قذارتك عليه، لكنك في حينه كنت تريد أن تدخله في فراشي.

باولينو: كيف يمكنك قول هذا يا كارميلا؟

كارميلا: ها أنت ترى؛ أقوله لك.

باولينو: أنت ظالمة. أردت منك أن تقابليه بوجه حسن حتى لا يطردنا. لأنني كنت في حينها فاقداً لصوتي.

كارميلا: لهذا لم تفتح فمك وهو يصرخ بك ويوبخك على الملأ؟

باولينو: تعرفين أنني فقدت صوتي حتى أنني لم أكن قادراً على الكلام.

كارميلا: مبحوح الصوت، أجل... هذا ما يحصل لك، تفقد صوتك فقط عندما تتعارك مع أحدهم.

باولينو: أنا فنان ولست ملاكماً... إضافة لذلك، عندما يستدعي الموقف، أيضاً أطرح ما بداخلي...

كارميلا: أنت تطرح؟

باولينو: ما يتوجب طرحه. في مدينة آلباثيته، العام الماضي، مثلاً؛ ألا تتذكرين؟

كارميلا: في الباثيته؟

باولينو: نعم، في الباثيته، منْ وقف بوجه تلك الميليشيا التي أرادت سرقة أغراضنا؟

كارميلا: لا أتذكر.

باولينو: آه هذا لا تتذكرينه... ألا تتذكرين شجاعتي وأنا أبحث عن ذلك الجاويش ومن ثم مواجهتي له وقولي له "أسمع سيدي الجاويش، أن رجالك يريدون..."؟

كارميلا: كان عريفاً.

باولينو: كيف؟

كارميلا: كان عريفاً ولم يكن جاويشا. الآن أتذكر... كانوا كلهم سكارى، وكانت مزحة...

باولينو: مزحة تقولين، هل أنت متأكدة؟

كارميلا: كان أربعة منهم من مدينة أويلبا، وانتهينا إلى أن نغني لهم "فاندانغو"، ألا تتذكر ذلك؟

باولينو: ذلك كان في النهاية، هذا بعد أن وقفت بوجوههم ووضعت لهم النقاط فوق الحروف.

كارميلا: آه...

باولينو: طبعاً، وقد رأيتهم؟

كارميلا: من؟

باولينو: رجال الليلة الأخرى...

كارميلا: من هم رجال الليلة الأخرى؟

باولينو: رجال ميليشيا الليلة الأخرى (يشير بإصبعه إلى الصالة) الذين كانوا هنا، السجناء...

كارميلا: سجناء؟

باولينو: أجل، السجناء... ألا تتذكرين؟ أولئك الذين كانوا في طريقهم...

كارميلا: أي ليلة؟

باولينو: الليلة الأخرى، هنا، عندما قمنا بعرضنا...

كارميلا: أي عرض؟

باولينو: عرض الـ... مستحيل ألا تتذكري؟

كارميلا: أشياء عديدة لا أتذكرها، أحياناً تروح مني وتجيء...

باولينو: شيء طبيعي، ولكن...

كارميلا: الآن مثلاً... تذكرت أنه عليّ أن أذهب...

باولينو: عليك أن تذهبين، إلى أين؟

كارميلا: لا أعرف... أحدهم قال لنا أن علينا أن نمضي إلى لا أعرف أين ولا أعرف لأجل ماذا...

باولينو: لكنك ستعودين، أليس كذلك؟

كارميلا: أجل... أعتقد ذلك...

باولينو: عديني أنك سترجعين كارميلا. لا يمكنك أن تتركيني هكذا.

كارميلا: هكذا، كيف؟

باولينو: هكذا، مع هذا... مع هذه... حسناً، تعرفين ما أقصد.

كارميلا: أجل أفهمك. سأبذل قصارى جهدي كي أعود. (تمضي)

باولينو: قولي لهم أن يتركوك.. قولي لهم أنك.. أنني...

كارميلا: هناك لا يحكم أحد... على ما أعتقد.

باولينو: إذاً عودي. سأنتظرك.

كارميلا: أجل، انتظرني. (تخرج من حيث جاءت. يخفت الضوء الأبيض).

باولينو: (يتحدث للطرف الجانبي، دون أن يتجرأ ويتبعها). سأنتظرك، ها كارميلا... هنا.. لن أتحرك... حتى تعودين. لا تنسي، بأنك... (بغفلة) خاصة وأنك ميتة للتو... (يفكر) تواً... لكن، كيف يكون ممكناً أن...؟ لأنني لست سكراناً... (يضرب وجهه، ينظر لخشبة المسرح، بعد ذلك للصالة، مرة أخرى للخشبة، يذرعها. يتوقف عند الطرف حيث دخلت وغادرت كارميلا: يبدو وكأنه يرغب بمعاينة المخرج، لكنه لا يجرؤ. تتناوشه فكرة مباغتة ويبدأ بالتنفيذ فوراً؛ يتناول قنينة الخمر ويتركها عند الطرف، خارج خشبة المسرح، يفعل الشيء نفسه مع الفونغراف والعلم. يهندم بدلته ويمسد شعره، ينظف بقدميه الأرضية المتسخة ويقف في مقدمة خشبة المسرح بمواجهة الجمهور. ما أن يصل هناك حتى يغمض عينيه ويشد على قبضتيه كما لو أنه يرغب بشيء بشدة، في النهاية يتخذ هيئة مقدم حفل هائم. عندما يبدو أنه على وشك التحدث، يغير وضعيته، ينظر لضوء البروفة ويخرج من أحد الجانبين. يُسمع

"كليك" السلك الواصل وينطفئ الضوء. بعد وقفة قصيرة، في العتمة، يدخل مجدداً وينتصب في وسط مقدمة الخشبة، صارخاً حتى كواليس الصالة): عندما ترغب، سيدي الضابط! نحن مستعدان! (صمت. لا يحدث شيئ. يعاود الصراخ) لتقوموا بتجربة الضوء، سيدي الضابط! آفياني، ستيامو بريستي، لوشي ميا تينينتي![٧] (تُضاء خشبة المسرح بتوقد. باولينو الذي يعتمر الآن قبعة جندي وطني ويحمل في يديه أوراقاً، يصمت للحظة لعمى عينيه من الضوء). حسناً يا رجل حسناً... لا تغضب.. هل أنت متأكد أن هذا الضوء ضروري في البداية؟ (يراجع أوراقه ويصرخ). توتا كويستي لوسي، إن برينسيبيو؟ (تطفأ الأضواء ويعاد إيقادها، هذه المرة بحدة اقل). هذا أفضل... (إطفاء جديد، وإعادة إيقاد بحدة أقل) ليس لهذه الدرجة يا رجل، ليس لهذه الدرجة، ستتركنا في الظلام! نو تانتي، آوومو، نو تنتي.. (يخفت الضوء أكثر) ليس لهذا الحد أقول لك، لا تخفضه كثيراً! على العكس، المزيد من الضوء! بيو، بيو، بيو...!

(تبرز كارميلا من الطرف، وقد أرتدت ثوباً مهلهلاً من طراز أندلسي).

كارميلا: لكن، ما الداعي لأن تعمل عصافيرك؟ هذا لم نتمرن عليه بعد...

---

٧ هنا نموذج من تخبط بطل المسرحية في حديثه مع الضابط الإيطالي، فهو يحدثه بإيطالية مكسرة، ربما تحدث أثرها من الفكاهة باللغة الإسبانية، ولكن في ترجمتنا لم نجد لها مسوغاً فتركناها كما هي إلا ما يستوجب الترجمة لمعرفة المحتوى، وهي على أية حال إعادة بإيطاليته العتيدة لما قاله مسبقاً بالإسبانية. ليكن ببال القارئ أن باولينو ما أن يحدث الضابط الإيطالي فإنه يقول الجملة نفسها بلغتين دائماً.

باولينو:(هازئاً) أي عصافير وأي حمق! أقول للضابط المزيد من الضوء... وهو إضافة لكونه مخنثاً، فهو أطرش...

كارميلا: آه طيب... (تختفي)

باولينو:(مراجعاً الأوراق) لنرى... لنرى... لن نفقد رشدنا، فما زال أمامنا ساعة (يدقق بالساعة) ساعة أقول؟ لم يبق سوى نصف ساعة! (يعثر على الورقة التي يريد) ها هي: "البداية" ها هي... (يصرخ ناحية كواليس الصالة) الحمُر[٨]، سيدي الضابط، الحُمر (إعتام تام) لا يا رجل! ماذا تفعل؟ لا تخفْ... أردت القول أزراراً حُمر! أن تضغط على الأزرار الحُمر في البداية! الأزرار الحُمر! (تتوقد الأضواء بدرجة متوسطة) أخيراً، هذا هو.! ممتاز... ممتاز سيدي الضابط! (يتنفس الصعداء ويتحدث ناحية طرف الخشبة، حيث تتواجد كارميلا) إذا ما أستمر على هذا الحال، ستتمزق أوتاري الصوتية من الصراخ... وبعد ذلك، سيكون عليك أن تقومي بالحديث من بطنك نيابة عن الإثنين... (ناحية كواليس الصالة) أسمعني سيدي الضابط، لماذا لا تفتح نافذة الكابينة لتسمعني بشكل أفضل؟ لا فسترينا....(يصاحب شرحه تعبيرات وجه متكلفة، يوسع نظره ويتنهد.) هذا هو. ممتاز جداً! مولتي بين.... (ناحية الجانب) الحمد لله أنني تعلمت القليل من الإيطالية في المعهد، وإلا فلا أعرف كيف كنا سنتعامل معه...

كارميلا: (تدخل من جديد وهي تحاول إغلاق مشد الثوب) خياطة، كان

---

٨ الحُمر: القصد منها الشيوعيين، وهم أعداء الفاشيست في الحرب الأهلية.

عليك أن تتعلم الخياطة لفادتنا الآن أفضل من غيرهـــا... هيـــا، ساعدني على إحكام هذه الخرقة، لأنه سينتزع منـــي منتصـــف الحفل.

باولينو: خرقة؟ لا تقولي هذا، إنه يناسبك بشكل جيد...

كارميلا: هيا تحرك.. جيد جداً... لم يأخذ مني سوى نصـف ســاعة وقطع ستارة، ألا ترى... أنظر كيف سأظهر أمام هؤلاء علـــى الملأ وقد أرتديت أبشع خرقة...

باولينو: ليس حقيقة ما تقولين... (ناحية كواليس الصالة بينما يســاعد كارميلا) لحظة سيدي الضابط! (يبتســم رغمــاً عنــه) أمــور نسائية... (لـــ كارميلا) حقيقة أنت مليحة جدا...

كارميلا: مليحة! سألقمك كل ملح المملحة بنفسي إن لم تصمت... كان عليك أن تقول لهم أنه بدون ثياب مناسبة لا يمكننـــا أن نقـــوم بالعرض...

باولينو: لقد قلت له...

كارميلا: وإذا ما أرادوا، فليمضوا حتى زويلا[9] ليقتحموها مـــا دامـــوا شجعاناً، وليحضروا لنا الثياب...

باولينو: (خائفاً) هلا صمت يا جاهلة؟

كارميلا: عندها يرون أي حفل جميل نقدمه لهم، ولكن بهذا الحـــال، لا شيء (تغيير حاد بالأضواء).

---

٩ زويلا: قرية بالقرب من بلشيته في مقاطعة سرقسطة. بتقدمنا بالنص، سيرد ذكر العديد من القرى خاصة بمواقع حدوث المسرحية مثل داروكا و كينتو و آلكانييث و كاسبي ونهر خيلوكا، كلها تقع ضمن جغرافية أقليم آراغون.

باولينو: حالاً سيدي الضابط، حالاً (يدفع بكارميلا إلى خارج الخشبة) أمض وأنته منه...

كارميلا: (خارجة) سأظل بلباسي الداخلي مع أول رقصة، وسترى ذلك!

باولينو: (ناحية كواليس الصالة) لتعذرني سيدي الضابط، لكنك تعرف أن... السنيورة كارميلا متوترة لأن عليها أن تمثل بهذه الطريقة: بلا ديكور، بلا ثياب، بلا أي شيء ولا شيء... (تغيير بالأضواء) أجل هو هذا: أضواء! الأضواء ممتازة جداً.. رائعة.. مدهشة.. رهيبة.. أقصد جيدة، أنت تفهمني. على أية حال هذا ما أردت قوله.. نحن فنانان أيضاً وإن كنا متواضعين.. ليس مثل سيادتك بالطبع، ولكننا فنانان... فنانا منوعات، هذا واضح، ولكننا فنانان على أية حال... هذا الذي تراه أمامك، كان لي مستقبل رائع كمغني أوبرالي.. أوبرالي.. تينور.. أوبرا ثارثويلا[١٠]... تفمهني؟ ثارثويلا...أوبرا إسبانيولية؟ (يغني)

"منذ زمن وأنا أزور المشغل
ولا أعرف لماذا أزوره
وهذا بالفعل شيء مقلق".

(يسعل) مطرب أوبرالي، لكن الحرب... أريد القول، الحرب المقدسة، الإجتياح الوطني المجيد...، لهذا خراء على المهنة، أنتهت... وكارميلا، السنيورة؛ راقصة أندلسية، فلامنكو... تفهمني "رقص

---

١٠ ثارثويلا: صنف مسرحية أوبرالية ذات طابع ونفس شعبي تقوم على الغناء والرقص والتمثيل، ولكنها بالطبع أقل قيمة من الأوبرا.

فلامنكو"؟ (يطرق بنعلي حذائه) أوليه، غجري!.. حسماً لكل شيء سيدي الضابط، ما أردت قوله: لتعلم أنه من المؤلم لفنان أن يقدم أقل مما يستطيع تقديمه، وفوق هذا يقدمه بشكل سيء، أنت تفهمني؟ شيء سيء بالنسبة للفن.. ألا ترى ذلك؟.. هيه سيدي الضابط، رجاء لا تمنعنا منه... أنت أعرف بنا، فأنت كفنان وإيطالي كذلك، من مهد الفن... إيطاليا، لا شيء يشبهها: مايكل آنجلو، دانتي، بترارك، بوشيني، روسيني، بوشيريني، موسليني... بالمختصر حتى لا أستمر، ذلك شيء كبير. لهذا تفهم تخبطنا كارميلا وخادمك الذي أمامك من أجل أن نبتكر حفلة بهذه الشروط... وأمام جمهور كـ...كـ...

كارميلا: (تظهر غاضبة وما تزال بنصف ملابسها) خلصت الحكاية! دعني وسأتولى توضيح الأمر بكلمات قليلة...

باولينو: (يحاول منعها) لا تفتحي فمك، ستضيعيننا... (إلى الكواليس) ها أنت ترى كم هي عصبية، سيدي الضابط...

كارميلا: لست عصبية، سيادة الضابط! ما عليه أنني مشتعلة، هيه.

باولينو: كارميلاً، حباً بالله...

كارميلا: (للكواليس) هنا باولينو وخادمة مطيعة لا أعرف لم علينا أن نقوم بالتهريج أمام القوة...

باولينو: قوات الجيش يا كارميلا...

كارميلا: حسناً قوات الجيش، وإضافة لهذا بمناسبة إحتلال بلشيته...

باولينو: تحرير، هذا ما تريدين قوله...

كارميلا: هذا هو، التحرير...، أنا متأكدة أنهم قد حرروا الحانات، ولن أذكر الرغبة التي تعتصر بالجسد.

باولينو: أخرسي يا كـارميلا، الضـابط تقريبـاً لا يفهـم الإسـبانية! سأشرحها له... (للكواليس) كما ترى سيادة الضابط، فالسنيورة أرادت أن تقول...

كارميلا: اسمع، هل من المؤكد أنه هناك؟

باولينو: منْ؟ الضابط؟ طبعاً، فأنا أتكلم معه منذ زمن...

كارميلا: لتنظر ربما يكون قد غادر...

باولينو: كيف سيغادر دون أن يخبرني؟ فهو رجل خلوق جداً (يصرخ ناحية الكواليس) سيدي الضابط! سيدي الضابط! (ينصتان)

كارميلا: ألم أقل لك إنه...؟

باولينو: سيدي الضابط، هل ما زلت هناك؟

كارميلا: ما أقوله لك، باولينو، لقد غادر. من المؤكـد أنـه سيمضـي المساء برفقة الحلاق!

باولينو: أخرسي يا حمقاء! (للكواليس) سيدي الضابـ.. (يخذله صوته. مرتعباً، يرفع يديه حتى حنجرته. هامساً) آه، يا إلهي!

كارميلا: ماذا حصل لك؟

باولينو:(نفس الحركة السابقة) الصوت!

كارميلا: أي صوت؟

باولينو: صوتي... لقد حشر صوتي.

كارميلا: كيف يحشر صوتك لمجرد صرختين لا غير؟

باولينو: هذا ما كنت أخشاه... رعب هذا الصباح، البرد القارص والآن الصراخ...

كارميلا: تكلم بشكل طبيعي وسترى أنه لم يحدث لك شيء؟

باولينو: لن أستطيع الغناء، ولا التكلم، فلنقل السلام على العرض...

كارميلا: آه لقد أخفتني! أية مرارة ستنتابني لو لم نقم بالعرض، بروح أمك يا باولينو، أستمر ببحثك حتى الغد وسنتخلص من هذا الخراء.

باولينو: (بصوت طبيعي) ومنْ ينقذنا من أن يطلقوا علينا الرصاص لتخاذلنا؟ ألا ترينهم كم طيبين هم!

كارميلا: يا للرجل، قد عاد لك صوتك...

باولينو: صحيح، لقد رجع لي صوتي (يجرب بطبقات مختلفة وبدرجات متعددة) لقد عاد لي... لقد عاد.. لقد عا...د...

كارميلا: من أجل أن تخوزقني قادر على كل شيء...

باولينو: لكن من الممكن أن يختفي في أية لحظة، خلال العرض... ماذا نفعل حينها؟

كارميلا: سهل جداً بالنسبة لك، ما عليك إلا أن تقوم بفقرة الضراط.

باولينو: (كما لو أنه قد وشي به لأمه) أصمتي كارميلا!

كارميلا: ماذا يجري؟ دائماً ما تنجح معك وفوق هذا تعجب الجميع دائماً...

باولينو: أصمتي أقول لك، هل تريدين قتلي؟

كارميلا: أنا؟

باولينو: أبداً، هل تسمعين؟ إطلاقاً. لقد أقسمت على ذلك في برشلونة، أبداً! حتى لو مت جوعاً...

كارميلا: أقسمت عليه في لوغرونيو أيضاً...

باولينو: في لوغرونيو لم أقسم بل وعدت، وهذا ليس الشيء نفسه...

كارميلا: حسناً، إذا هذا ما تقول...

باولينو: لكن، ألا تفهمين يا كارميلا؟ ألا تدركين أنك تهينيني بتذكرك هذا... هذا؟ أنا فنان، مطرب!

كارميلا: وهذا ما علاقته بما نتحدث؟ إذا كنت دائماً عندك هذه الهبة الربانية...

باولينو: هبة؟ تسمين هبة هذا... هذا الخزي؟

كارميلا: هذا ماذا؟

باولينو: هذا العار، هذا العقاب، هذا الصليب...

كارميلا: أنت تبالغ.

باولينو: أنا لا أبالغ. ما يحصل أنني عندي كرامة. هل تعرفين ما تعني؟، أشك بذلك، أشك...

كارميلا: أسمع، لا تتجاوز... فأنا عندما أريد، أكون أكثر فخراً من...

باولينو: أقصد كرامة الفنان، هل تفهمين؟

كارميلا: آه هذا، لا داعي أن تتصرف هكذا...

باولينو: أتصرف بما يتوجب. وإذا ما خرجت عن دوري مرة، أي أن أتنازل، أي أن أحط من كرامتي...

كارميلا: تقصد أن تلجأ للضراط؟

باولينو: الضراط، أجل! عن هذه "الهبة الإلهية" كما تسمينها...! ها أنت ترين كيف هي هذه الهبة الإلهية والتي بسببها طردوني من الكنيسة بعمر ثلاثة عشر سنة...

كارميلا: طردوك؟ ألم تقل لي أنك تركتها لأن الخوري كان يجري ورا....

باولينو: كان يجري ورائي متوددا على مدار الساعات، نعم، ذلك القس... لكن الحقيقة أنهم طردوني، رفضوني، لأنني حتى أكون ظريفاً أمام زملائي، كنت أوقد "الهبة الإلهية" إثناء القداس، خلال لحظة التكريس...

كارميلا: (متعوذة) يا للمسيح ومريم و يوسف! ولماذا هذا الكفر؟

باولينو: لا أستطيع تفسيرها لك... لكنني في كل مرة، في كبري، وكل مرة أقع فيها.. في تجارته هذه، أي في كل مرة أتنازل فيها من أجل لقمة العيش... بهذا... بهذا... شيء ما ينكسر في داخلي.

كارميلا: ما الذي أنكسر فيك؟

باولينو: من الداخل، أردت أن أقول...

كارميلا: من الداخل، لا أعرف... لكن من الخارج، أعرف أنهم كانوا سيشجون رأسينا في برشلونة وفي لوغرونيو لو لم تقم بفقرة الضراط... بسبب بحة صوتك أو تدرنك الرئوي، هل تقول لي كيف كان بإمكاننا إتمام العقد المبرم...

باولينو: هناك عقد أكثر أهمية يا كارميلا، وهو ما وقعه الفنان مع ربات إلهامه...

كارميلا: يا للعجب يا باولينو، كيف أنت اليوم! تبدو وكأنك قد هربت من كوميديا من تأليف خاثينتو بينابينته.[11]

باولينو: يكفي كارميلا، لن أجادل أكثر. لكن ليكن بعلمك أنني فنان. سيء الحظ، هذا صحيح، لكني فنان. والضراط على العكس من الغناء، هل تفهميني؟ الضراط هو الغناء بالمقلوب، فن هابط، عار الفنان... وإذا ما تناسى أحد، أو لا يريد أن يتذكر، أو لا يعرف أو بالنسبة له سواء، ويقال "إن هذا يعجب الجمهور،

---

١١ خاثينتو بينابينته: ١٨٩٩ـ١٩٥٤، كاتب مسرحي إسباني، كتب أكثر من ١٥٠ عملاً أدبياً أكثرها في المسرح. حاز على جائزة نوبل عام ١٩٢٢. إثناء الحرب الأهلية الإسبانية صف بجانب الفاشستية الفرانكوية وبقي على موقفه حتى مماته.

أنظر كيف يضحكون، أن تعيش من الضـــراط... أو مـــن أي شيء"، إذاً، إذاً، يا كارميلا، هذا...هذا... هو الخزي...

كارميلا: يا للمصيبة...!

باولينو: هو هذا، نعم؛ لو تنتبهين ولو لمرة. لا مزيد من الضراط فـــي مهنتي... حتى لو أطلق علي الفاشيست الرصاص (يتوقف فجأة في قوله، ويهدأ تهيجه. يراقب من حوله مرعوباً) لكن... مـــاذا أقول؟ كيف أستطعت...؟ (لكارميلا، مستشاطاً) هل ترين كيـــف أخرجتني عن طوري بما...؟

كارميلا: منْ أخرجك عن طورك؟ أنت وضعت نفسك لوحدك...

باولينو: (غاضب جداً) أين هو الضابط؟ (لكـــواليس الصـــالة) ســـيدي الضابط!

كارميلا: أنا أرى أنهم قد ألغوا العرض...

باولينو: يدهشني هذا كثيراً. (بصوت منخفض، مرتبكاً). وماذا لو كان خدعة ليجرونا من ألسنتنا؟

كارميلا: وماذا سيحصلون منا؟

باولينو: لا أعرف... ربما يعتقدون أننا جاسوسان، أو شيء من هـــذا القبيل... (يصرخ ناحية الكواليس) سيدي الضابط!

كارميلا: جاسوسان، نحن؟ يا للهوسة يا مريم المقدسة! لكننا قلنا لهـــم هذا الصباح كل ما طلبوه منا وأكثر...

باولينو: أعرف... لكنهم شكاكون جداً. يرون الحُمر في كل مكـــان... أين راح غوستافيت؟

كارميلا: مضى ليرى إن كانوا قد أصلحوا الفونغراف.

باولينو: وهذا شيء آخر. غوستافيت يشغل الفونغراف... يا للفونغراف

ويا لغوستافيت هذا... (ناحية الكواليس) سيدي الضابط!

كارميلا: ماذا تريد أن تقول عن الصبي؟

باولينو: لا أقول شيئاً... هل تعرفين ماذا طرأ بذهني؟ هيا لنتظاهر...

كارميلا: نتظاهر؟

باولينو: أجل، لنعمل وكأننا نتمرن على الرقص...

كارميلا: وهل هي ساعة بدء العرض؟

باولينو: لهذا السبب؛ لأنها ساعة العرض والضابط لا يتنفس، والقوة لا حضور لها... وهذا ما يقلقني... هيا... (ينتظمان بشكل وكأنهما على وشك البدء برقصة)

كارميلا: أنظر باولينو، لا تبدأ بضغطك علي، أعرفك تمام المعرفة... وأنت تعرفني؛ عندما تخاف، تصيبني بالرعب مـــا أن ألمحـــك مرعوباً وأنا...

باولينو: واحد، إثنان، ثلاثة، هيا! (يبدآن بتطوير مشهد رقصة فظـــة، يستمران بالتحاور بينما يرصدان بقلق الصالة وطرفي الخشبة). ماذا كنت أقول له؟... واحد إثنان، واحد إثنان!

كارميلا: قلت لمن؟

باولينو: للضابط... ثلاثة أربعة، ثلاثة أربعة!

كارميلا: متى؟

باولينو: قبل لحظات، قبل أن تظهري أنت...! لليمين دُرْ، واحد إثنان! المرة الأخيرة وهو يسيطر على الأضواء...

كارميلا: وماذا يضيف ذلك؟

باولينو: لليسار دُرْ، ثلاثة أربعة!... فيما لو قلت ما يشين...

كارميلا: مشين، أنت؟ يثير إستغرابي...

باولينو: خمسة ستة، إلى الخلف!... أعرف، كنت أقول لـــه أن نمثـــل هكذا، مع ما نرتديه...

كارميلا: مع ما نرتديه؟ يا ليتني أستطيع التمثيل بثيابي، ولـــيس بهـــذه الستارة المرقعة...!

باولينو: (يتوقف) ثيابك! وأين هي ثيابك؟

كارميلا: أين يمكن أن تكون؟ في هذه الغرفة المليئة بالصراصير...

باولينو: (مذعوراً) ماذا صنعت بمنشور نقابة العمال الذي أعطوه لنـــا في آثايلا؟

كارميلا: آه منك، لقد أخفتني... أستخدمتها الليلة نفسها، في المرحاض.

باولينو: متأكدة أنك لم تحمليها هذا الصباح في حقيبتك؟

كارميلا: هل تعتقد إنني قذرة لهذه الدرجة؟

باولينو: لا يا امرأة.. أفكر أنه... لكن لنستمر... واحد إثنـــان، واحـــد إثنان!... أفكر أنهم هذا الصباح، عندما أوقفونا، بأنهم قد فتشونا بدقة...

كارميلا: هذا صحيح، الأشياء كما هي.

باولينو: كانوا لطفاء معنا كذلك إثناء الإستجواب...

كارميلا: جداً. الجاويش لم يتوقف عن أن يقول لي "أهدئي، هذا لـــيس سوى إستجواب روتيني...".

باولينو: وفي كل مرة يقولها لك، ضربة على عجيزتك.

كارميلا: على عجيزتي لا، هنا فوق.

باولينو: أعتقدوا فوراً أننا قد أجتزنا الحدود دون أن ننتبه لذلك...

كارميلا: ألم يكن ذلك صحيحاً؟ (تتوقف عن الرقص)

باولينو: آه لهذا... ولكن في رأس يصدق ذلك؟
كارميلا: يا رجل كانت الدنيا ضباباً...
باولينو: أجل وأمضي لتقولي للعساكر بأنك قد مضيت، دون أن تعرف، من معسكر الجمهوريين إلى المعسكر الوطني على متن مركب شراعي كما لو أنك تسيرين للغداء عند نبع...
كارميلا: للغداء لا، ولكننا ذهبنا لشراء السجق.
باولينو: لشراء السجق ذهبتِ أنتِ، أما أنا فقد جئت بلشـــيته ليتعاقــدوا معي لحفلاتهم.
كارميلا: لكن، أي حفلات سيقيمون وقد علموا أن الفاشيست قد وصلوا مدينة ترويل؟
باولينو: لا أحد كان على يقين بتقدمهم السريع.
كارميلا: ها أنت ترى بأنهم بينك.
باولينو: لكن حول ماذا نتناقش؟
كارميلا: أنت العارف...
باولينو: طبعاً ما أن تفتحي فمك، حتى تنقلبي لعكس ما أردت.
كارميلا: أنا؟ لكنك أنت منْ يعارضي في كل ما أقول...
باولينو: أعارضك أنا؟
كارميلا: في كل شيء؛ عن العجيزة، الضباب، عن السجق...
باولينو: ليس صحيحاً. أنت قلت أنه لا يجب أن أستغرب بأنهم أعتقدوا أننا...
(فجأة يحدث تغيير بالأضواء. يتجمد كلاهما، مفاجآن، لكن كــارميلا تتصرف بسرعة وتحول نقاشهما إلى فقرة موسيقية مرتجلة).

كارميلا: (تغني وترقص)
لقد ظنوا أننا
لن نستغرب أبداً
لأنهم يقولون أنك تقول
بأنني لا أحبك إطلاقاً...

(تغيير جديد بالأضواء، متوقدة أكثر. تتوجه كارميلا لمقدمة المسرح لحل المسألة وتتحدث إلى الضابط، بينما مايزال باولينو مذعوراً من الموقف السابق).

هل أنت هناك سيدي الضابط؟ منذ ساعة ونحن ننادي عليك... من أجل أن نخبرك كي تخبر العقيد بأننا لم نتهيأ بعد، والموسيقى ليست جاهزة بعد. لهذا أرجو أن تأمر القوات بالإحماء لمدة نصف ساعة، فهذا سيساعدها للتخلص من أثر النبيذ، بينما نقوم باولينو وخادمتك بترتيب أنفسنا...

باولينو: (يتحرك، ولكنه مازال يتلعثم) تقول... سيدي الضابط... السنيورة تقول... أن تقول له... إننا...

(لكن كارميلا تسحبه من يده وتجبره على مغادرة الخشبة. للحظات تظل الخشبة فارغة. بشكل حاسم، يجتاحها الاظلام. في العتمة يسمع صوت كارميلا مقترباً " باولينو، يا باولينو" (يدخل من طرف الكواليس ضوءً أبيض ونلمح باولينو غافياً على الأرض متكورا على نفسه. يسمع من جديد، أكثر قرباً، صوت كارميلا، وضوء التدريبات يتعلق مع ضربة "كليك").

كارميلا: (تدخل مرتدية ثوبا عاديا) باولينو!... (تراه وتقترب منه) ماذا تفعل يا باولينو؟ أنت...؟ (تريد أن توقظه، لكنها تتوقف) نائم،

هيه، يا للمسكين، لا بد أنك متعب... (تنظر حولها، تخرج من المشهد، لتعود بعد لحظة وهي تحمل علم الجمهورية. تغطيه به). حتى لا تبردْ... هذا الشتاء الذي لا ينتهي... (تنظر له، متفكرة) يا لك، فعلى الأقل تستطيع أن تنام لسويعة. أما أنا، فكما ترى، طوال اليوم المقدس... أو في الليل.. أو في هذا الوقت الرمادي، مستيقظة أكثر من قائد روماني. الجميل هو أن تشعر بهذه الوخزة في العينين، من ثم إنحلال الجسد كله، الغوص بالفراش، أو خارجاً، وتترك لمويجات الحلم أن تحملك، مثلما كانت تقول جدتي مامانينا... أين تكون الآن؟... هل سألتقي بها وبأبي... وبعمي "الملعقجي" و أمرأته "النابغة"... وبرامون المضحاك، أبن عمي، و... لعائلة الموتى التي كانت من نصيبي! طبعاً لا يدهشني هذا مع وجبة المآسي التي طالتنا... ومع ذلك كانت "الرئيسة" السيدة دونيا أنطونيونه تقول:" يا لقوة الفقراء، طوال اليوم يفلحون بوجبة من ليمونة واحدة وحبتين من الخرنوب، ولا يموتون أبداً... "يا للأم التي خلفتها، كان عليها أن تظل في بطن أمها، السيدة دونيا أنطونييه وجه القردة كما كان ينادي عليها الأولاد... هي وعائلتها لا بد وأنهم أحياء حتى اليوم، سعداء وسِمان... سِمان نعم، لأنه بنهد واحد من نهديها كان يغطينا أنا وبنات عمي كلنا... (تبقى متفكرة) يا للغرابة! لا أشعر بالحسد ولا الغضب ولا ... (تركز وتجهد نفسها) السيدة دونيا أنطونييه وجه القردة! دون مليتون التيس..ون!... (تستجمع قواها للبحث عن مشاعر مقابلة) قليل جداً، تقريباً لا شيء... والأسف؟ لنرى... (تركز) لا تغادري إيه مامانينا! لا

تختلقي هذا الوجه! افتحي عينيك وأغلقي فمك...! (ت) حسناً، أجل: ما زلت أشعر بقليل من الأسف... والخوف؟ (تركز) السكان! لقد أتى كل السكان! الكل حتى المنحدر، بسرعة!... (تستجمع نفسها)، لا، الخوف، لا شيء... وعن... ذلك؟ (تنظر لـ باولينو وتركز) أستمر باولينو، لا تتوقف، أكثر وأكثر، هيا... الآن...! (تستجمع تفكيرها)... بش... لا شيء كبيراً! يا للأسف يا باولينو، أنت الذي كنت تمتعني... مثلما كنت تغني لي ذلك (تترنم، بحركة بسيطة موازية)

يا ماما إينيس، يا ماما إينيس!

كل الزنوج نشرب القهوة...

أمضي بالإيقاع كزنجي مغني... وبدون الحاجة لنوتة... (تبتسم بحنان ماكر) يا للرجل الشيطان! أين تعلمت كل هذه النزوات؟ من المؤكد أنه لم يكن في دروس الكنيسة... (تغيير) كفى يا كارميلا. المياه التي ليس عليك أن تشرب منها... من الأفضل أن تتعود على نسيان الأشياء الجميلة، حتى لا يقرضك الحنين... (يتحرك باولينو ويتمتم ببضعة كلمات في حلمه). يبدو أن السيد يريد أن يستيقظ. يا للساعة المباركة...

باولينو: (حالماً بصوت عالي) لا!... لا تأخذوها!... هي ليس لها.... هم.... الذنب... رجال الميليشيات هؤلاء...! لنغني... هي لا... هؤلاء هم الذي وضعوا... (يستمر بدمدماته دون أن يفهم منه شيء).

كارميلا: أنظر بأي شكل يكون هذا! إذاً فهو لا يحلم...! وبصوت مرتفع أيضاً... يا للعجب... (تحاول إيقاظه برقة) إستيقظ، هيا

يا فتى، ولا تغلي دمائك بالذي ليس لـه عـلاج... بـاولي... باولينو... لا شيء، كما لو كان طفلاً في حلمه الأول... حتـى أن مخاطه يسيل... (تمسح له أنفه بمنديل. يتأفف باولينو، لكنـه يستمر بالنوم). الذنب، تقول... الرب وحـده يعلـم مـن هـو المذنب... رجال الميليشـيات... أنـا... أنـت... غوسـتافيت الأحمق... أم القربان المقدس... لكن لا: لا أعتقد أنهم هم، يـا للمساكين...-أن أغني، أجل، لا أعرف ماذا حصل لي... علـى الرغم من، هذا واضح... وماذا كان بوسعهم عمله؟ كـان كـل شيء سواء بالنسبة لهم، إذا كانوا سيعدمون صباحاً؟ فكرة حملهم لمشاهدة العرض، بقيودهم وكل شيء... وأنا، هنـاك، أطـوح بالعلم... يا لحليب الضابط النجس! بدلاً من أن يمنحهم العشـاء الأخير ويقتلهم، مثلما شاء الرب، يأتون بهـم حتـى هنـا، يـا للمساكين... ليتجرعوا العلقم. أنا ومنذ البداية لا أعرف ما الذي حدث لي... رؤيتهم هناك، بملامحهم الجادة... (تنظر للصـالة. تترنم):

...أبداً لا تستطيع القنابل

رومبا، رومبا، رومبا يا

حيث يطفح القلب

آي.. كارميلا، آي.. يا كارميلا...

(كما لو أنه مدفوع بقوة مطواعة، يفز باولينو ويجلـس فـي محلـه، رامشاً. تفزع كارميلا).

يا للمسيح... ما هذه الطريقة مع الغبش يا باولينو...

باولينو: (مستيقظاً تماماً) آه، أهذه أنت...

كارميلا: أجل.

باولينو: لقد عدتِ...

كارميلا: ها أنت ترى.

باولينو: لقد حلمت أن... (يقطع كلامه)

كارميلا: ماذا؟

باولينو: لا، لا شيء... إذاً لقد عدتِ...

كارميلا: نعم، عدت

باولينو: حسن جداً.

كارميلا: فقط أنني... (تقطع كلامها)

باولينو: ماذا؟

كارميلا: لقد أتعبني هذه المرة أكثر.

باولينو: ماذا تعنين؟

كارميلا: ما أقول، لقد أتعبني هذه المرة أكثر.

باولينو: لماذا؟

كارميلا: لا أعرف... كان صعباً.

باولينو: ما هو ذلك الذي كان صعباً؟

كارميلا: العودة... العودة إلى هنا.

باولينو: لم يسمحوا لك؟

كارميلا: هناك لا أحد يسمح أو لا يسمح.

باولينو: إذاً...؟

كارميلا: آه لا أعرف... يا لك من ملحاح... وأنت ماذا فعلت؟

باولينو: أنا؟ لا شيء... بقيت أنتظرك (ينظر إلى خشبة المسرح وإلى الصالة.) غريب...

كارميلا: ماذا؟

باولينو: هذا... هذا المكان... مسرح فارغ.

كارميلا: لماذا؟

باولينو: من الأشياء التي...

كارميلا: (تنظر لخشبة المسرح والصالة) أجل، من الأشياء التي...

(ينظر كل منهما إلى الآخر، بصمت)

باولينو: وأين كنتِ؟

كارميلا: متى؟

باولينو: كل هذا الوقت... منذ أن مضيت...

كارميلا: ذهبت إلى ... هناك.

باولينو: أجل، ولكن أين؟

كارميلا: لا أعرف. كان... تقاطع طرق.

باولينو: تقاطع؟

كارميلا: أجل، سكك قطار. سكتا قطار متقاطعتان.

باولينو: تريدين القول... محطة؟

كارميلا: لا، لم يكن هناك محطة. فقط غرفة ناظر المحطة، أو شيء من هذا القبيل، وسط العراء.

باولينو: شيء غريب... غرفة...

كارميلا: أجل، ولكنه لم يكن...

باولينو: منْ هو الذي لم يكن؟ ناظر المحطة؟

كارميلا: لا هو ولا أي شخص آخر. بدأت الناس في الوصول، وشكلوا طابوراً...

باولينو: طابور؟ أوقفوكم بطابور؟

كارميلا: لم يأمرنا أحد. كنا نقف لوحدنا، ما أن نصل...
باولينو: التعود، هذا واضح... وهل كانت هناك جموع بشرية؟
كارميلا: في البداية لا، لكن شيئاً فشيئاً بدأوا بالتوافد...
باولينو: وذلك الفرد هل كان هناك... عديم الحياء برأسه المشجوجة؟
كارميلا: لم أره. إن لم يكن من بين المضببين...
باولينو: مضببون؟ ماذا تعنين؟ (كارميلا لا تجيب). تقصدين أنكم... أنهم... كما لو يمحون؟
كارميلا: شيء مثل هذا... (باولينو، متوتراً، يلمس وجهها. هي تبتسم). لا يا رجل... أولئك لا بد أن يكونوا موتى قدامي، منذ بداية الحرب... أو قبل ذلك. لا تقلق، ما زلتُ للآن... (تغير الموضوع بحيوية) هل تعرف من كان في الطابور للحظات؟
باولينو: لا... من؟
كارميلا: لا يمكنك تصوره... لم تحزر بعد!
باولينو: كيف أحزره! مع الموتى الكثر الذين...
كارميلا: واحد من الذين يكتبون شعراً، معروف جداً. لا بد أنك ستحزره...
باولينو: يا أمرأة، لا أعرف...
كارميلا: أجل يا رجل، لقد قتلوه مع بداية الحرب، في غرناطة... أنه سهل جداً.
باولينو: غارثيا لوركا؟
كارميلا: (سعيدة جداً) أجل.
باولينو: فدريكو غارثيا لوركا؟
كارميلا: هو بعينه.

باولينو: ياه! غارثيا لوركا... شهير جداً... وهل كان هناك، معك؟

كارميلا: معي، أجل، هناك في الطابور... للحظة فقط، في البداية. لكن... لن تصدق ذلك... هل تعرف ماذا فعل معي؟

باولينو: لا. ماذا فعل معك؟

كارميلا: كتب لي أبياتاً شعرية.

باولينو: لك؟

كارميلا: نعم، لي.

باولينو: كتب لك أبياتاً شعرية، لك أنت؟

كارميلا: تقول هكذا. أنظر لها، أحملها معي هنا (تستخرج قطعة من الورق) بقلم رصاص...

باولينو: لنرى، لنرى... يا للأهمية؛ يكتب لك أبياتاً شعرية... وهل هي رائعة؟

كارميلا: لا أعرف. لا أفهمها. لكني أعتقد أنها كذلك...

باولينو: (متناولاً الورقة) أعطني، أنا سأفسرها لك... (يقرأ:)

الحلم... ينقشع... ما بين جدران
صمتك الأبيض بلا... بلا نمل...
لكن فمك... يدفعُ... الشفق
بـــ... بـــ... بخطوات محتضرة.[١٢]

باولينو: (محتاراً، لا يعرف ماذا يقول). أجل، كثير... واضح، إنه أراد هنا أن يقول... (يصمت)

---

١٢ الأبيات الشعرية بالطبع ليست للوركا وإنما هي من تأليف كاتب النص، لكنه يعترف أنه قد إستوحى أجوائها من قصائد لوركوية قرأها في ديوانه (شاعر في نيويرك).

كارميلا: أما أنا فأكثر ما أفهمه، هو الإحتضار.

باولينو: أجل، هو هذا. هذا يفهم جيداً... على العكس مما لـــه علاقـــة بالنمل...

كارميلا: على أية حال، عليك الإعتراف بأنها تقدير معتبر...

باولينو: وأكثر من ذلك: يا للتقـــدير المعتبـــر... خاصـــة وأنـــه فـــي وضعه...(يعاود القراءة) عن صمتك الأبيض بلا، هل يقول هنا، نمل؟

كارميلا: أجل: النمل، النمل...

باولينو: لتري، أي تعبير... صمت أبيض بلا نمل...

كارميلا: وهذا الحلم الذي ينقشع، له وقعه أيضاً...

باولينو: أيضاً أيضاً... الحلم ينقش في... جميل جداً، دقيق جداً (يعيـــد إليها الورقة) حافظي عليها جيداً، هيه... لا تفقديها... وكتبها لك هناك؟

كارميلا: هناك بالضبط. بقلم رصاص... كان في الصف، جاد جـــداً، مضبب قليلاً و... ببدلة مهندمة... مثقبة بالطبع... لـــه ســـيماء سيد...

باولينو: كان سيداً، أجل... وشاعرا عظيما... أحفظ له قصيدة قويـــة. في بدايتها يقول؛

حملتها حتى النهر
ظاناً أنها بكر،
لكن كان لها زئج...[١٣]

---

١٣ من قصيدة لوركا المعروفة (الزوجة الخائنة).

كارميلا: أجل، أنا أعرفها أيضاً... من ديوانه (الرومانث الفلامنكـــي)، أليس كذلك؟

باولينو: ليس فلامنكي، بل غجري. الرومانث الغجري.

كارميلا: هو هذا، جميل جداً، أجل... كان هناك، كما قلت لك، نـــاظراً للأرض، جاد جداً، اتجهت نحوه وقلت له...

باولينو: كان هناك نمل؟

كارميلا: أين؟

باولينو: على الأرض، هناك حيث كان ينظر.

كارميلا: وما أدراني أنا؟ كما لو كنت في حال لأميز ذلك...

باولينو: أجل بالطبع... أقوله لأنه... لكن أستمري، أستمري...

كارميلا: ذهبت لأقول له:" حضرتك ليس من هنا، صـــحيح؟" لاننـــي لمحت عليه لا أعرف ماذا... فإذا به يجيبني "ولا أنت أيضاً ابنة بلدتي". وهكذا رحنا نتحدث نحن الإثنين، عن غرناطة... وعلى ما يبدو أنه يعرف كاروكاس، إبنه عم شقيقة لإبنة الزوج الأول لجدتي مامانينا، فقد كانت تخدم في بيتهم...

باولينو: لتري أنت، كم صغير هو العالم...

كارميلا: هذا نفسه ما قلته، وهو أجابني "صغير جداً، كارميلاً، صغير جداً، لكنه سينمو."

باولينو: هذا ما قاله لك؟

كارميلا: أجل.

باولينو: سينمو؟

كارميلا: أجل.

باولينو: يا للأمر... سينمو...

كارميلا: في تلك اللحظة يقترب قس بلشيته، لم يكن يحتمل الوقوف تقريباً فقد كان مضعضعاً...

باولينو: ولماذا كان مضعضعاً؟

كارميلا: لا أعرف جيداً... بدا وكأنهم قد رموه من أعلى البرج.

باولينو: يا للمسكين...

كارميلا: يمكنك أن تقول هذا... لو رأيت كيف كان يتعرق.

باولينو: يتعرق؟ في هذا البرد؟

كارميلا: من المأزق الذي كان يعانيه. لأن الناس بدأت تغضب...

باولينو: لماذا؟

كارميلا: لأنه لم يكن هناك أحد يهتم بأمورهم.

باولينو: منْ هو الذي لا يهتم بالأمور؟

كارميلا: لا أحد؛ ولا الرب، ولا العذراء، ولا الحمامة...

باولينو: أية حمامة؟

كارميلا: التي تعيش معهم.

باولينو: تقصدين الروح القدس؟

كارميلا: هذه، أجل. فلا الروح القدس ولا أي أحد آخر.

باولينو: لكن يا امرأة... الرب والعذراء لن يمضيا هكذا لتلبية طلبات الكل.

كارميلا: حسناً، طيب... لا أعرف، لكن على الأقل، الملائكة والقديسين...

باولينو: في هذا، أنت على حق.

كارميلا: القديس بطرس مثلاً... أين هو القديس بطرس؟

باولينو: تسألينني أنا؟

كارميلا: بالطبع، أليس كلهم سواء، رجال

باولينو: أعتقد أنك مخطئة...

كارميلا: كانت هناك امرأة، غاضبة جداً، لم تتوقف عن مناداة القديسة سانتا أنغراثيا... " حسناً لكن، كانت تقول، أين هي سانتا أنغراثيا؟ أمضيت كل حياتي بالصلاة لها وإشعال الشموع لها كل يوم جمعة... أكثر من مئتي دينار صرفتُ من أجلها... والآن، ماذا؟ أين هي سانتا أنغراثيا؟"... وهناك لم تظهر لا سانتا أنغراثيا ولا أحد غيرها.

باولينو: يا للمرأة المسكينة، مائتا دينار، ياه....

كارميلا: راحت سدى... وبالطبع، كان القس يعتذر كل الوقت، ويطلب أن نتصبر، وأن أحدهم سيأتي حالاً... لكن لا شيء من هذا، لا أحد هناك...

باولينو: (مقاطعاً) اسمعي كارميلا...

كارميلا: ماذا؟

باولينو: أنا... أنا لا أعرف ما هو هذا.

كارميلا: ما هو الـ ماذا؟

باولينو: هذا... الذي يحصل لنا... أنتِ هنا، ونستطيع التحدث ولمس بعضنا بينما أنت ميتة... لا أفهم ما الذي يجري، ولا لماذا...

كارميلا: ولا أنا، لكن... ها أنت ترى.

باولينو: أقسم لك أنني تقريباً لم أشرب... ولم أحلم، أنت تعرفين أنني لا أحلم أبداً... أو تقريباً.

كارميلا: لا، يكفي أنك تشخر...

باولينو: إذاً، كيف يمكن هذا؟

كارميلا: ماذا تريدني أن أقول لك... على الأفضل، هذا ما أقوله أنـا، بأنه مع موتى كثر في الحرب، ربما لا يتسع المكان لنا كلنا...

باولينو: أين؟

كارميلا: وأين يمكن أن يكون؟ في الموت... لهذا يتركوننا هنا، ننتظر، حتى يتسع لنا المجال...

باولينو: لا تقولي ترهات يا كارميلا. هل تعتقدين أن المـوت هـو... مخزن ما وراء البحار؟

كارميلا: وماذا تعرف أنت، قلْ؟ هل متَ مرة من قبل؟

باولينو: آه طبعاً، السيدة هي الميتة الوحيدة هنا... يا للعجب... وأيـن رأيت ميتة تأكل حلوى السفرجل؟

كارميلا: (بالفعل، كانت قد أخرجت حلوى السفرجل، وراحت تشـمها) لقد أعطاني إياها القس! كما إنني لا آكل منها...

باولينو: لكنك تستطيعين أكلها، أليس كذلك؟... هيا، كليها، وسترين...

كارميلا: (ساخرة) ماذا يحدث لو أكلتها؟

باولينو: كليها... (كارميلا، بعد إحتراسها، تقضم الحلوى بزهو). ماذا؟

كارميلا: ماذا؟

باولينو: أجل، ماذا أحسست؟

كارميلا: لا طعم لها.

باولينو: (مندهشاً) لا طعم لها؟

كارميلا: أجل، لا أتذوق لها أي طعم.

باولينو: لا شيء؟ هاتي... (كارميلا تعطيه الحلوى. يلتهم باولينو لقمة) لذيذة جداً... (يستمر بالأكل) كيف يمكنك أن تقولي أن لا طعـم لها؟ (الشيء نفسه بنهم شديد) أنا أرى الفاكهة قد قطفت بوقتها،

لا خضراء ولا ناضجة... و طيبة مثل... (تجهش كارميلا بالبكاء. يفهم باولينو ويترك الأكل حالاً، ويرجع حلوى السفرجل إليها. مرتبكاً، لا يعرف ما عليه أن يفعل) كارميلا، أنا... أعذريني... أنت محقة...

كارميلا: (تسيطر على نحيبها) وأنا التي تعجبني حلوى السفرجل...!

باولينو: كارميلا، رجاء... أنا لم... (يقدمها إليها) تريدين؟

كارميلا: (تجهش بالبكاء) لأجل ماذا؟ إذا كنت لا أشعر بطعمها... لا شيء...

باولينو: في الواقع... الحلوى باهتتة الطعم قليلاً... أنا... (يغضب فجأة، رامياً الحلوى ويوبخها) لماذا كل هذا، كارميلا؟ لماذا قمت بكل هذا، قولي لي؟ ماذا كان يهمك أنت إن كان العلم، إن كانت الأغنية، أو العرض بأكمله، ماذا همك أحدهم من الآخر، ماذا يهمك أنت من هذه الحرب اللعينة؟ ألم يكن بإمكانك أن تقدمي العرض وكل شيء في مكانه؟ من أرسلك لتواجهيهم وتظهري شجاعتك وتقفي بوجوههم...؟

كارميلا: (غاضبة، وهي تنشج) لا تصرخ في!

باولينو: (مازال مستمراً) أنت التي ليس عليك أن تصرخي!

كارميلا: لماذا لا؟

باولينو: لأنك ميتة، والموتى لا يصرخون!

كارميلا: هذا ما تقوله أنت، لا يصرخون، هيه! (تصرخ)

باولينو: ها أنت ترين!

كارميلا: أرى ماذا؟

باولينو: ما حصلت عليه. أنت ميتة أكثر... من جرذ ميت، وأنا...

كارميلا: لا تسبني!

باولينو: أنا... أسوأ من ميت! ماذا تفكرين بأن تربحي؟ بأننا سننتصر ونحن نفتعل البطولة؟ ألم يكن كافياً صبرنا لسنتين في الحرب ونحن نقدم عروضنا؟ يبدو لك أقل بطولة؟ " كارميلا وباولينو، تنويعات أنيقة"... يا للأناقة! والعواصم، لننساها، هناك منافسة شديدة... ومن ضيعة فوق لضيعة تحت، بصناديقنا الأربعة... والأحمق غوستافيت، وهو صندوق آخر، لأنه لا ينفع لتمثيلنا ولا كمدير ولا حتى صانع تشكيلات على المسرح...

كارميلا: دع غوستافيت لحاله!

باولينو: آه دافعي عنه! القديسة كارميلا شفيعة الأغبياء...

كارميلا: غبي أنت، لو لم تتبختر أمام الضابط بعبقريتك الفنية، لما أجبرنا أن نقدم عرضاً...

باولينو: آه لا، وماذا كان سيفعل لنا؟

كارميلا: يطلق سراحنا ويتركنا نمضي بعد ساعتين...

باولينو: يتركنا نمضي؟ يتركنا نمضي أيتها الشفيعة؟ هل تعرفين ماذا تعني الحرب؟ هل لديك فكرة عما يجري هناك؟ (يشير للخارج) هيا أخرجي لتقومي بجولة وسترين بنفسك... طلي على المدرسة وسترين كم طفلاً مات هناك، وسترين كيف شووا على آذانهم البصل... ثم أمضي حتى أطراف المدينة وأحسبي البشر الذين حملوهم للنزهة هناك، والذين ظلوا ملقون على حافة الطريق... ولا تمضين بعيداً، أنظري ماذا فعلوا معك...

كارميلا: ألا يكفي هذا؟

باولينو: ما هو الذي يكفي؟

كارميلا: أن تدس أصبعك في أنفي، ألا ترى أنني ميتة. حتى يبدو لي أنك سعيد لذلك...

باولينو: سعيد أنا لأنك...؟

كارميلا: ألا يكفيني ما بي، حتى أنني لا أستطعم حلوى السفرجل.

باولينو: كيف تقولين هذا...؟ ولكن أليس أنتِ التي...!

كارميلا: (فجأة كما لو أنها سمعت شيئاً) إصمت!

باولينو: ماذا يجري؟

كارميلا: ألا تسمع؟

باولينو: (يتنصت) أسمع ماذا؟

كارميلا: ألا تسمع أي شيء؟

باولينو: مثل ماذا؟

كارميلا: قصف، مدافع...

باولينو: أنا لا أسمع شيئاً...

كارميلا: هناك، بعيداً... بووووووووم، بووووم.

باولينو: لا يسمع شيئاً كارميلا، ولا أزيز ذبابة.

كارميلا: أنا أسمع، من بعيد، ولكنه واضح جداً...

باولينو: لا تفزعي، هذه تهويمات لا غير.

كارميلا: أقول لك لا. أسمعه بشكل جيد. لتنظر فيما لو قتلوهم مرة أخرى...!

باولينو: منْ؟

كارميلا: حتى يبدو لي أنني أراهم... أجل... هناك... في الطريق... البيت... هناك دخان... تفجيرات...

باولينو: أهدئي رجاء كارميلا... كيف ترين هذا وهو...؟ تهويمات لا غير... لا شيء يُسمع ولا شيء يُرى...

كارميلا: أراها، أجل... القنابل تسقط ببطء...، تنفجر ببطء... أرى الأرض تنفلق... المدفعية...

(تمضي نحو الخارج. يوقفها باولينو).

باولينو: أنتِ هنا معي يا كارميلا... في المسرح... أنتِ هنا... إلى أين تمضين؟

كارميلا: إنهم هناك... لا يهربون... صامتون... يمشون ببطء... يتوقفون... سيقتلونهم مرة أخرى!

(تتخلص من باولينو بصرامة، وتمضي راكضة باتجاه منطقة الكواليس المضاءة).

باولينو: كارميلا، لا... (يمضي خلفها، لكنه يعود حالاً، كما لو أن قوة خارقة قد دفعت به ليسقط أرضاً. ينطفيء الضوء الأبيض). كارميلا! (يحاول أن ينهض ولكنه مازال مرتعباً، إضافة لإصابته في ساقه). كارميلا، عودي! عودي هنا! لقد كسرت ساقي! أنا جريح! كارميلا! لقد كسرت...! (يكتشف أن هذا ليس صحيحاً، فينهض فوراً، مازال منبهراً. يمشي عارجاً، يصرخ من جديد ولكن بقناعة أقل) ساقي...! لا أستطيع المشي، كارميلا!... أحتاج لك! لا يمكنك أن تتركيني هكذا! لقد أصبحت أعرجاً!...

(فجأة، تضاء الأضواء بشدة على خشبة المسرح في الوقت نفسه تتصاعد نغمات موسيقى "خاكا". الراقصة. باولينو، مرتعباً، يتجمد في مكانه، ينظر للاضواء وللصالة. يفرك عينيه، يدور برأسه وقبل أن يدخل حالته، ينزل الستار بسرعة).

الفصل الثاني

(تمضي الدقائق الأولى تماماً مثلما حدث في الفصل الأول؛ ظلام، صوت "كليك"، ضوء تمرين، يدخل باولينو حاملاً قنينة نبيذه، نظرات لخشبة المسرح، جرعة نبيذ، نظرات جديدة، تقاطع- يفك أزرار لباسه- يخرج من الطرف المعاكس، وقفة، دخول من جديد- يزرر لباسه- نظرات وإكتشافه للفونغراف، في العمق، بمستوى الأرض. كذلك يمضي بقربه، مقرفصاً، يحاول أن يشغله. ما أن يكتشف أنه لا يعمل، حتى تنتابه مرة أخرى نوبة تحطيم القرص، لكنه يتوقف، يجلس على الأرض ويحاول تشغيله. بعد محاولات عديدة، يحاول من جديد تشغيله، وهذه المرة يعمل. يتعالى حينها صوت القرص بموسيقى "آي.. كارميلا" العسكرية الجمهورية. يستمع لها باولينو كاملة دون أن يتحرك. مع الأصوات الأخيرة يبدأ يهرش ساقيه بلا إهتمام، بعد حين ينظر إلى ساقيه وليديه أيضاً، وللأرضية من حوله... ينط بقفزة واحدة ضاربا كل جسده وداعساً على الأرض بكل قوته).

باولينو: (صارخاً بغضب) خراء على كل نمل الرب! أتغوط على كل نمل الرب والعذراء المقدسة...!

(بقفزاته، ينشخط القرص ويبدأ بتكرار شطر الأغنية الأول مرة بعد أخرى "آي.. كارميلا"، "آي.. كارميلا"، "آي.. كارميلا"... ما أن ينتبه باولينو للوضع حتى يهدأ وينظر للفونغراف نظرة رجل مُخدَرْ. فيما بعد يراقب ما حوله قلقاً، في النهاية، يمضي لرفع القرص. والقرص بيده، يعاود النظر لما حوله. يدمدم)

هذا ليس طبيعياً... هذه مصادفات أكثر من اللازم... هذا شيء متعمد... هنا يجري شيء... هنا يكون أحدهم... هذا لأنني غير سكران. ما أن تدخل هنا، ولا يتوقف حصول أشياء: وكل الأشياء غريبة... تلك التي تبدو وكأنها لا شيء، ليلة الخديعة تعود، الأضواء التي تضاء... والآن، الفونغراف، وكأنه يعمل خدعه في الإحتفالات... ما هذا يا رجل! القليل من الجدية... (لمحاور غير مرئي وكسول) ماذا يحدث؟ هل لأن هذا المسرح فارغ وكل شيء جائز؟ كل ما يخطر على البال، هكذا! ويكفي؟ هيا يا رجل!... وكأن الأشياء التي في الخارج أفضل كي نتصرف بفنطازيا!.. والأدهى من ذلك أن تمضي اليوم كله وأنت تبرز الأبط... (يقلد التحية الفاشستية). الأسوأ من هذا هو عندما لا يُعجب أحدهم بأنفك، ويعُجب بحذائيك، فالسلام عليك إذاً أنت "أحمر"... وتعال كيف ستتغاضى عن ذلك... (ينظر للقرص) يا لتعاستك، ميت أنت ويمكنك النظر لمصارعة الثيران من الحلبة. لأنه، لو أنني خرجت سليماً من هذه المصارعة... (متخلصاً من أفكاره المعتمة). لكن في النهاية؛ "ما حدث قد حدث، الميت للحفرة والكعكة للحي". هنا لا بد من النباهة، أن تمضي بعين مفتوحة، أن تنظر أين تدوس بقدميك والسير تحت ظل مناسب... وإذا ما عدت يوماً ما لهذا المسرح، فلن أسمح لأحد بأن يلعب بي بسحر رخيص ولا أشباح ولا... (تحول قاطع. يصرخ، تقريباً بابتهاج) كارميلا! تعالي يا كارميلا! بأي صورة، فقط تعالي! بخدعة، بالكذب، أو بمسرح...! لا يهمني! فقط تعالي يا كارميلا!...

(خشبة المسرح تضاء بشدة، مثل نهاية الفصل الأول، ويُعاد سماع موسيقى أغنية "خاكا". لكن في هذه المرة، إضافة لذلك، تدخل كارميلا بثوبها الأندلسي ومروحة كبيرة، تتمختر وترقص برشاقة. وباولينو بعد دهشته المنطقية، يتصرف بتخاذل وينسحب بخفة حتى العمق. يظل هناك موليا ظهره للمسرح، بذراعين متقاطعين، بمزاج سيء بطبيعة الحال. كارميلاً تؤدي دورها دون أن تتحفظ منه، وإثناء منتصف المشهد، تبدأ الموسيقى بالإنخفاض- أو أن يتقلص صوتها- في نفس الوقت الذي ينخفض فيه ضوء المسرح ويتوقف الرقص. يبقى في الختام ضوء شحيح وكارميلا في الوسط، كما لو كانت غائبة، جامدة تقريباً، بوضعية رقصة مبتورة. صمت. يعود باولينو ويحدق بها. مازال متوتراً، لا يتحدث مع كارميلا بصورة مباشرة).

لا هذا كثير؟

كارميلا: ماذا؟

باولينو: (كمنْ يستيقظ) ماذا؟

كارميلا: ما هو الكثير؟

باولينو: لا يجب أن نبالغ، يبدو لي...

كارميلا: أيه يا رجل، لم أعد أفهمك.

باولينو: (مقلداً نفسه) كارميلا، تعالي، تعالي...! وها أنا هنا، طرومب...! (يقلد دخول كارميلا) يا للوسيلة... ولا حتى يحصل ذلك لمجنون... كارميلا، تعالي، تعالي...! و طرومب، أجيء... يا للسذاجة... وعلي أن أبلعها دون إحتجاج وكأن كل شيء جيد وأستغل الذي يجيئك، كما لو كان شيئاً...

كارميلا: (بطبيعة الحال لا تفهم منه شيئاً، منزعجة قليلاً) حسناً باولينو، قل لي ما تسعى إليه...

باولينو: لا، ولكن الخلل ليس بك، أعرف ذلك...

كارميلا: خلل؟ عما تتحدث؟

باولينو: لا شيء، كارميلا، لا شيء... مسكينة تجهدين نفسك... الآن هنا، والآن هناك... أنت حية، والآن ميتة...

كارميلا: أنظر لقد قلت لك، لا تأكل كل الأرنب.

باولينو: ماذا؟

كارميلا: دائماً ما تشعر بالألم. والأسوأ أن تكون عصبياً قبل أن تبدأ.

باولينو: عن أي شيء تتحدثين؟

كارميلا: منْ يخطر له أن يأكل أرنباً كاملاً وقبل ساعتين من بدء عرض لا يعلم إلا الله كيف سينتهي؟ لكن لا تقلْ أنني لم أحذرك "باولينو، إحذرْ من أكل الأرنب، سيسبب لك عسر هظم، وأنت عندما تؤلمك أحشاؤك، لا تستطيع ضرب كرة واحدة بقدمك!"... لكنك تجيب "لا يا كارميلا، الأكل الكثير يقوي شكيمتي"... وها أنت ترى... بماذا تشعر؟ غثيان، سخونة؟ (تجس جبينه).

باولينو: لا أشعر بشيء... أنا بصحة جيدة...

كارميلا: لكنك تهذر بأشياء... ولك وجه...

باولينو: وأي وجه تريدين أن يكون عندي؟

كارميلا: ما أريد... أريد... وجه كلارك غيبل مثلاً... ولكن يكفي الآن أن يعود اللون لوجهك...

باولينو: وهل أنا شاحب الوجه؟

كارميلا: تميل للإخضرار... بالطبع أنا... أنظر أن عليّ أن أؤدي دوري دون أن أتمكيج! وفوق هذا أشعر بقدوم الدورة الشهرية...

باولينو: وكيف تعرفين؟

كارميلا: من ضرسي.

باولينو: من ضرسك؟

كارميلا: دائماً ما قلت لك، عندما تأتيني الدورة الشهرية يوجعني ضرس العقل.

باولينو: هذه توجسات.

كارميلا: توجسات؟ كل ما في الأمر أنها تحذرني.

باولينو: حسناً، لن نتجادل.

كارميلا: طيب، ولكن منْ أين أحصل على منشفة؟

باولينو: من أين لي أن أعرف؟

كارميلا: طبعاً وماذا يهمك أنت أن كنتم جافين دائماً...

باولينو: (خلال الحوار، يدخل تدريجياً في الوضع الذي تحدده كارميلا) جافون أم مبللون، الأهم هو أن لا تتذلل، وأن تصنع من المصران قلباً وترمي بالروح نحو الشيء... (متشجعاً، يرمي من خشبة المسرح بكل ما يمكن أن يعرقل العرض: الفونغراف وقنينة الخمر...) كما لو كنا نمثل في الرصافة.[١٤]

---

١٤ ليست رصافة بغداد، بل يعني بها مسرح الرصافة في مدينة بالنسية، من أعرق المسارح، إذ تأسس عام ١٨٨٠. كان مشهوراً بعروضه المسرحية الأستعراضية حتى غلقه عام ١٩٧٣.

كارميلا: في الرصافة! يا للقديسة مريم! سيكون نفس الشيء تماماً... الديكورات، الموسيقى، الوصلات... كل شيء تماماً. وبلشيته هي نفسها بالنسبة...

باولينو: أردت القول... نحن... فننا... دائماً ما يجب أن نمنح أفضل ما عندنا للجمهور. أينما نكون، ولدينا ما لدينا...

كارميلا: لهذا الجمهور، الأفضل لو نقول له "كسكس'... ألا ترى عدد كبير من المغاربة هنا؟ (تعدل منديلها)

باولينو: طبعاً... الآن تنتبهين لذلك؟ مغاربة، طليان، ألمان... (بلا تهكم) الجيش الوطني؟

كارميلا: صحيح هذا الذي قاله الضابط؟

باولينو: عن أي شيء؟

كارميلا: عن جنود الميليشيات الذين ألقوا القبض عليهم، وسيأتون بهم ليروا عرضنا وفي الصباح يعدمونهم...

باولينو: لا أعرف... يبدو أنه صحيح... يبدو أن القائد أراد أن يكرمهم بـ... بهذا الشيء، الأمنية الأخيرة...

كارميلا: (ترتب فستانها بلا عناية) لا تبدو لي ظريفة! أن تغني وترقص بوجود عشرات المقيدين بالأصفاد ها هنا، وينظرون لك...

باولينو: أعتقد أنهم أجانب، الأغلبية. من القوات الدولية![١٥]

كارميلا: بالنسبة لي كما لو أنهم من مدينة كوينكا، يا للمساكين... هل ترى حمالة الصدر؟

---

١٥ إشارة إلى المتطوعين الدوليين لمناصرة قوات الجمهورية بحربها ضد الفاشستية الفرانكوية.

باولينو: (ينظر إليها) لا.
كارميلا: أو أسوأ من هذا... يأتون من بعيد لهذا الشيء...
باولينو: يا امرأة، عرضنا لن يكون سيئاً، سترين ذلك...
كارميلا: أعني أن يقتلونهم.
باولينو: آه ، طبعاً...هذا هو، يا للمساكين... من فرنسا، ومن أميركا... أعتقد أنه بينهم من هو من بولندا أيضاً.
كارميلا: بولندي!... ها أنت ترى، يا للمبالغة... منْ كان سيقول لأمه، وهي بعيدة هناك، بأن أبنها سيعدم هنا في بلشيته؟
باولينو: لا أحد بالطبع.
كارميلا: من المؤكد أن بلشيته باللغة البولندية لا تقال باللفظ نفسه...
باولينو: بلشيته، بالطبع لا، لا سرقسطة، لا باداخوث ولا لوغو... وإذا ما فكرنا أكثر، ولا حتى إسبانيا.
كارميلا: لا، إسبانيا لا بد أنها معروفة جداً. إذا ما جاءوا إلى هنا ليقاتلوا، فلا بد أنها كذلك.
باولينو: آه، لكن... لا أعرف كيف ينطقونها...
كارميلا: على طريقهم، لكنهم ينطقونها. وإلا، كيف وصلوا إلى هنا؟
باولينو: الذي لا يصل هو الجمهور... (ينظر ناحية الصالة) والضابط... أنظريه في الكابينة، يا لهدوئه، مع غوستافيت يدخن كأنه مهراجا...
كارميلا: إضافة إلى كونه شيوعياً، فلن يستطيع حتى أن يصلي...
باولينو: منْ، الضابط شيوعي؟
كارميلا: لا، أعني أمه.

باولينو: أمُ من؟
كارميلا: أم البولندي. أليسوا شيوعيين هؤلاء المشاركين في هذه القوات؟
باولينو: تقريباً... لكن أن تكون أمهاتهم شيوعيات، فليس لزاماً.
كارميلا: لا بد أنها كذلك (تتحمس) ها أنت ترى، حتى أنها لا تستطيع الصلاة على روح أبنها.
باولينو: (ينبهها) حسناً... على الأفضل، أنها لن تعرف بالأمر... بولندا بعيدة جداً.
كارميلا: هذه الأشياء دائماً ما يعرفن بها الأمهات.
باولينو: (محاولاً التخفيف عنها) ربما يكون يتيماً...
كارميلا: وفوق هذا يتيم! يا للمسكين! بولندي، شيوعي ويتيم، ومن ثم يأتي للموت من أجل شعب لا يعرف أن ينطق بـ... (كل مرة أكثر تهيجاً)
باولينو: (قلقاً) حسناً كارميلا، لا داعي أن تتصرفي بهذه الطريقة...
كارميلا: أي طريقة؟ واضح تماماً أنك لم تكن أماً ذات يوم.
باولينو: ولا أنت يا كارميلا...
كارميلا: (مهتاجة جداً) طبعاً لا! لأنك لم ترغب بذلك، لأنك أناني! ولو لم أصر على ذلك ما تشجعت على الزواج مني ولا حتى زواجاً مدنياً.
باولينو: (قلق بوضوح، ومراقباً الكابينة بالوقت نفسه) هذا يكفي يا امرأة، يكفي... أنظري، يبدو أن الضابط مستعد، لا بد أن الموكب الديني قد أنتهى.
كارميلا: هذا هو، المزيد من المواكب الدينية والقداس والتسبيح وبعد ذلك... لنعدم اليتامى!

باولينو: أرجوكِ أن تصمتي... وتستعدي، فالضابط لا أعرف ما يقوله لنا، لا بد أن القوات قد وصلت. تسمعين؟ (من الجانب) هل هو هناك غوستافيت؟

كارميلا: (مغتاضة) أجل... لكن تعرف ما أقول لك؟ مشهد العلم لن أقوم به.

باولينو: ماذا تقولين؟ (يحاول أن يخرجها من خشبة المسرح).

كارميلا: مشهد العلم الجمهوري، لا أرغب بتقديمه. يا للمساكين! إضافة لإعدامهم، تجعلهم يتجرعون المرارة بعرض الألوان الثلاثة...

(يعتم المسرح بصورة حادة. خطوات متعجلة على الخشبة. يستمرون بحوارهم، بصوت متتالي، من العتمة).

باولينو: أصمتي، أقول لكِ! يكفي! هيا لنبدأ! هيا لمكانك! غوستافيت، هيئ الموسيقى!

كارميلا: أقول لك لن أمثلها. حاول أن تخترع شيئاً آخر، لأنني لن أخرج للسخرية من العلم. فوق هذا، يا للمساكين...

باولينو: لكن منذ متى كان يهمك أنت ما يحدث لعلم الجمهورية؟ ما يهمك أن تسخري من علم الجمهورية أم من الملابس الداخلية للملك ألفونسو الثالث عشر؟... غوستافيت، هيا! الجمهور يدخل الصالة!... نحن فنانان، أليس كذلك؟ السياسة بالنسبة لنا سواء. نقدم ما يريدون منا و" السلام ختام".[١٦]

كارميلا: آه طبعاً، ماذا لو طلبوا منك عرض الضراط؟

---

١٦ تحديداً يقول (أعياد باسكوا مقدسة) أو (عيد سعيد) غيرناها بما رأيناه أعلاه، والقصد أن ينتهي كل شيء بسلام.

باولينو: هذا ليس الشيء نفسه. الضراط ليس له علاقة بالسياسة!

كارميلا: بالنسبة لي هو الشيء نفسه، بل أسوأ.

باولينو: ما هو الأسوأ لك؟... حسناً، لا يهمني. ترغبين ألا تتعقد المسائل الآن؟... والأوراق... أين وضعت هذه الأوراق اللعينة؟... مؤكد أن الفونغراف يعمل؟ تعرفين متى عليك أن تدخلي يا كارميلا؟... كارميلا، أين مضيت؟... أنهم يدخلون... يا للعذراء، كم من الضباط قد جاؤوا!... وذاك أليس هو فرانكو؟ الجنرال فرانكو؟... كارميلا! هل رأيت كارميلا يا غوستافيت؟ كانت هنا منذ لحظة... هل الفونغراف يعمل؟ الأوراق، أخيراً! وقبعتي؟ أين قبعتي؟ ماذا فعلت بـ...؟ ها هي هنا! وكارميلا؟ هل أعرف أين هي...؟

كارميلا: أنا هنا.

باولينو: أين مضيت؟ ماذا فعلت؟

كارميلا: تبولت.

باولينو: وهل هذا وقت التبول؟

كارميلا: لا تريد أن أتبول فيما بعد وأنا أرقص...

باولينو: كفى ثرثرة... الكل مستعد؟ عندما يشير الضابط... اتفقنا غوستافيت؟ وأنت يا كارميلا، تعرفين متى عليك أن تدخلي؟ لا تظلليني، لا تتركيني معلقاً... كيف هي جملتي الأولى؟... "المنقذون الخالدون لوطننا المنتصر..." لا، العكس "المنقذون المنتصرون لوطننا الخالد..." كارميلا، نهدك...

كارميلا: ماذا؟

باولينو: نهدك، على وشك الإندلاق...

كارميلا: لقد حذرتك أنني سأظل بلباسي الداخلي...

(يضاء المسرح بشكل مفاجيء، وفي الوقت نفسه، تصدح موسيقى " الخاكا". يدخلان، باولينو وكارميلا في وقت واحد، كل من طرف، هو بمسير حربي معتمراً قبعة عسكرية وبيده أوراق، أما هي فترقص بظرافة مشرعة مروحة، والتي بكل الإحتمالات، كتبت عليها النشيد الجديد).

كارميلا: (بعد التهيئة الأولى، تغني:)

بلدي إسبانيا
يحلق مع الريح
ليصنع صرحاً
لشجاعة قائده.
بلدي إسبانيا
مليء بالأفراح
لأنه يوشك على الإقتراب
اليوم الذي "يتوجه المحيا للشمس".

(ما أن تنتهي، يتخذ باولينو مكانه في مقدمة الخشبة، بمواجهة الجمهور، ويرفع ذراعه الأيمن بالتحية الفاشية. ينقل الأوراق من يده الممدودة هذه، ليحملها باليسرى. يرتب فيما بعد الأوراق، يتنحنح، ويقرأ بفصاحة دون أن يخفي ارتباكه)

باولينو: المنقذون المنتصرون لوطننا الخالد؛ اليوم أنت عقل وقلب وذراع المسيرة المنتصرة التي تعيد لإسبانيا فخر قدرها الإمبراطوري، لقد أديتم دوركم ببطولة، والعديد منا يهلل لهذه الحملة الصليبية المُخلِصة. في مسيركم المقتدر لإنقاذ الأرض الوطنية، والتي لطخت خلال أعوام وتضرجت بالدماء بسبب الملكية والشيوعية والإنفصالية والماسونية والكفرة، اليوم قد حررتم بسلاحكم أرض بلشيته البطلة. إن فرقة نابارا الخامسة للجيش المغربي تحت قيادة الجنرال المنتصر ياغوي، كتبت بدماء خالدة صفحة مجيدة في الكتاب الذهبي لتاريخ إسبانيا الخـ... الخـ... الخالد...، هذا الكتاب يوحي، يدون ويحفظ بنبض أكيد ويد واثقة عـ.... أجل هي عيـ... عظم.... عظمة القائد فرانكو، الذي نريد أن نحتفل به هذه الليلة.... (يغير الورقة) أربعة كيلوات من السجق، زوجان من الجوارب السود، دزينتان من... (يتوقف، وينظر بخوف للجمهور) لا، عذراً... (ينظر بغضب لـ كارميلا، المنشغلة عنه بتنظيف حذائها. يدعك الورقة ويخبئها في جيبه) عذراً، كان خطئاً (يبحث بين الأوراق) نريد أن نحتفل بـ... نحتفل بـ... ها هي! (يقرأ) نريد أن نحتفل بهذه السهرة الفنية الوطنية الخلاقة. هذا هو... بسهرة بعنوان (تنويعات رقيقة) يحيها فنانان شعبيان متواضعان هما كارميلا وباولينو (يصفق كلاهما) وهما يمثلان لكل الشعب الإسباني... (يبتسم بتواضع) حسناً: الكل تقريباً... (يقرأ) كل إسبانيا، ويدير السهرة المقرب منا الفنان والعسكري الإيطالي

من فرقة ليتوريو للقوات المتطوعة (يشير ناحيـــة الكابينـــة)... الضابط أميليو جيوفاني ريبامونتي، ممثلاً عن الشعب الإيطالي، وهو كما يقال الروح الفتية الصلبة والمسيحية لأوربا... (طـــول الجملة يشعره بضيق النفس وضـــياع خـــيط الـــؤوي. تحـــذره كارميلا و تهوي له من مروحتها)... هذا هو... طيب... إذاً... أوروبا هذه التي نريد أن نحتفي بها، نكرمها ونروح عن قواتها المنتصرة في جيش الإنقاذ الوطني المجيـــد. نقطـــة. (يعتـــذر بإبتسامة متكلفة) أعذروني فأنا... هذه الكلمات المدهشة لـــم... أردت القول أن الضابط قد كتـــ...

كارميلا: (تتدخل) يريد القول، سادتي العساكر، أننـــا هنـــا بـــاولينو وكارميا بخدمتكم، وسنقوم بسهرة رائعة، رقيقة، لكي تمضـــونها بشكل طيب، وبكل إرادة، وهذا ما لن ينقص هنا، على الـــرغم من أنه وكما ترون؛ يد في الخلف وأخرى إلى الأمام، كما يقال، فقد فاجئتمونا، هذا واضح، فسنمنح القليل من البريـــق لســـهرة كوميديا التحرير، وإلا فليقل لي أحدكم كيف سأبدو براقة وأنـــا أرتدي هذه الثياب المهلهلة، على الرغم من أننـــي لا ينقصـــني الإصرار ولا هو كذلك، وهو ما أقوله دائماً، لا ظرافة بمكـــان حيث لا وجود لها، فلا أثر لها... والآن بالنسبة لـــي، ظرافـــة "الأمنية الأخيرة" هذه، فأقول لكم الحق، وكنت أقولها لـــه قبـــل لحظات، أليس كذلك؟ فلا تبدو لي ظريفة، الأشـــياء كمـــا هـــي عليه، فحتى لو كانوا بولنديين، فالأم هي أم دائماً...

باولينو: (بسخرية مصطنعة، بعد عدة محاولات لإسكاتها) والأم ليست

سوى واحدة، وأنتِ سأعثر عليك في الشارع!... حن جداً! أجل، سادتي، هذه هي كارميلا، فنانة عريقة وذات صيت، فبعد أن دارت بقوامها الممشوق في أفضل صالات إسبانيا، تصل إلى هنا، لمسرح غويا الظريف هذا في بلشيته، لتقدم وصلاتها الفنية بين أقدامكم...

كارميلا: (متفكهة) أراقبكم، فلا تدوسوني بأحذيتكم هذه... الفن أعني...

باولينو: (بابتسامة مزيفة) يا للأفكار البديعة!... هذه هي كارميلا، نعم، سادتي: كل ملح الأندلس وسكرُ ... سُكرُ... (تخونه معرفته الزراعية)

كارميلا: سُكر خيلوكا... حتى لو كان من البنجر.

باولينو: أبداً لا تفقد ظرفها، كل هذا من أجل الجمهور...

كارميلا: هذا صحيح. فأنا أحب الجمهور جداً، بأي خلقة يكون... فكما ترون حضراتكم، مثلاً، بكل هذه الجدية، باللباس الحربي والمسدسات والسيوف هذه... فهذا بالنسبة لي كما لو أنكم أبناء همومتي في كولوميرا... والذين يتنزهون دائماً وأشياؤهم منتعضة للخارج... (تضحك بحشمة زائفة) آه، لتعذروني حضراتكم! فهذه مزحة كنا نقولها أنا وشقيقاتي...

باولينو: (متظاهراً بنوبة سعال حادة) يكفي، يكفي كارميلا... فهذا الجمهور المتميز يستحق صنفا آخر من... من الظرافة... سيادتكم ترون هذا سادتي؛ فـ كارميلا لا تحتاج لورق كي تملأ بظرافتها خشبة المسرح... لكن بالنسبة لي، نعم (يورق ما بيده)

بالنسبة لي، نعم... لأنه يصل الآن ذلك... ذلك... (يعثر عليها) ها هي! أجل سادتي، هذا...(يقرأ) وكرمز لهذه الحميمية الفنية، والتي هي من طبع الشعبين أيضاً، الإسباني والإيطالي، المتحدين بالدفاع بالضد من العدار... لا... حيوان العدار... حيوان العدار الأحمر، فنقدم لكم هذه الرقصة الـ... المبهجة... الرقصة الوطنية- المبهجة المعنونة " شعبان، دماء مشتركة والإنتصار"...

كارميلا: في البداية كانوا ثلاثة،، لأن الضابط أراد إشراك غوستافيت، وهو التقني إضافة لأشياء أخرى، أراد له أن يقوم بدور الالماني، وبهذا يدخل الجميع في الرقصة... كلهم ما عدا المغاربة طبعاً، لأن هؤلاء... (حركة كسولة) هو ما أقوله لكم؛ أنا كإسبانية وباولينو كأيطالي، لأنه في الحقيقة يتكلمها جيداً، الإيطالية أقصد... وغوستافيت يقوم بدور الألماني، على الرغم من أنه قصير، وله رأس مربعة بهذه الهيئة وشعر منفوش قليلاً...

باولينو: حسناً كارميلا... لا أعتقد أن هؤلاء السادة يهمهم ما...

كارميلا: دعني أشرح لهم، لكي يروا بأعينهم أنه لا ينقصنا إرادة... وهو ما كنت أقوله؛ غوستافيت في دور الألماني، وهو ما كان يريده الضابط. لكن يبدو أن المسكين له زوائد في القدمين تمنعانه من المشي، فما بالكم بالرقص...

باولينو: هو ذاك سادتي مما دفعنا للتفكير...

كارميلا: لكن لا تعتقدوا عكس ذلك، حتى أننا جربنا ذلك للحظة هذا

المساء حتى تروا أننا لا تنقصنا إرادة... لكن لو كنتم قد رأيتم... (تضحك) المسكين غوستافيت...! (تضحك) وهكذا قلنا؛ غوستافيت، أنت مسؤول عن الغرامفون. حتى لا يفكر السادة الألمان أننا نريد السخرية منهم...

باولينو: هو ذاك سادتي... هو ذاك... نحن...

(الضابط يبرق لهم بإشارات ضوئية حادة)

لنتوقف عن المزيد من الشروحات ولنمضي فوراً للرقص (يراجع أوراقه)... الرقصة الوطنية- المبهجة المعنونة "شعبان، دماء مشتركة وإنتصار"...

كارميلا: هذا ما أقول، في البدء كانوا ثلاثة، لكن (إشارة من باولينو) سترون بأعينكم كم سيسركم...

(يظهر الإثنان، كل من جهة. على وقع موسيقى مارشات إيطالية متأججة، يقوم باولينو وكارميلا بتدبير رقصة، مقاربة لحركات الرقصة التي تمرنا عليها في الفصل الأول. ما أن تنتهي، حتى يخرج الإثنان معاً، ليعود باولينو بعد لحظات، يحدث تغيير في الإضاءة)

باولينو: (يقرأ) موغلاً بالمصادفة في حقل الشعر الملحمي الذي أوحى لنا بها كرم المسير الوطني المجيد وحربه الصليبية المقدسة، نعثر على هذه القصيدة الرائعة "رومانث قشتالة المدججة بالسلاح"، والتي بأبياتها الشعرية في أزمنة شرسة ودقيقة، تمد جسراً من القيم والبطولة ما بين الماضي والحاضر. مؤلفها هو فدريكو أوروتيا"... (يقرأ بتفخيم متأني).

في هضبة لوس آنخلس
حيث تحرسها الملائكة
قتلوا المسيح!
الحجارة تنز دماً
لكن لا تفزعي يا أمي
فكل قشتالة مدججة بالسلاح
ومدريد تُرى عن قُرب.
ألا تسمعي؟ فرانكو ولتعش إسبانيا!
شجرة اللبلاب الأحمر محاصرة
تموت بحراب البنادق.
اللحم ظاهر
والحناجر ممزقة.
والسيد بقميصه الأزرق
ممتطياً صهوة جواده في السماء.
هناك بعيداً، في القرية،
أسفل الكنيسة الذهبية
بالقرب من النيران الريفية
آلاف الأمهات يصلين
من أجل أبنائهن الذين مضوا
مدثرين أرواحهم بالأزرق.
لا تبكي يا أمي، لا تبكي،
فقد ربحنا الحرب!

وقبل أن ينضج القمح
سأعود من خلال الوادي،
سنحتفلُ في القرية
وستصطدح النواقيس،
الفتيات سيضجن بالفرح
وبالفرح ستعزف الغيتارات...

(يسمع تنهدات ما بين لوحات الهيكل، ضوضاء من شخص يتكلم بشكل مكشوف. ينتبه باولينو لذلك، يتوتر)

ومسيرات في الشوارع
طبول ومزامير
وبيارق الكتائب
فوق الكنيسة الذهبية.
مدريد تُرى عن قرب!
كل قشتالة مدججة بالسلاح
والسيد بقميصه الأزرق
ممتطياً صهوة جواده في السماء...

(تقتحم كارميلا خشبة المسرح، وهي تبكي كأنها العذراء)

كارميلا: (للجمهور) وماذا عن بولندا؟ هناك ألا توجد أمهات؟ وكم هي قريبة...!

(بعد ثوان معدودة من الهلع، يتصرف باولينو ويتخذ هيئة مقدم برامج متشجع)

باولينو: (للجمهور) وبهذا الدخول... المفاجئ، نمهد الطريق للمشهد

القادم... وهو حوارية ظريفة مزركشة... مستلة من كوميديا موسيقية مبتذلة رائعة... (يُلاحظ عليه أنه يرتجل بيأس المشهد) وقد تم تقديمها بنجاح كبير في الموسم الماضي... في مسرح تيبولي في برشلونة، بعنوان... "من بولندا حتى داروكا، وأسحب البازوكا"...

(مندهشة، تنسى كارميلا ما هي فيه. على العكس من الضابط الذي ينبهه عبر تغيير شديد في الأضواء. مما حدى بـ باولينو، بتنبه سريع، إلى أن يأتمر بما يريده منه)

لا؟... ليس هذا، لقد أخطأنا... (للجمهور، بينما يراجع أوراقه) كلا سادتي، هذا لم يكن مشهدنا القادم... لقد أخطأنا... الحوارية المبتذلة تأتي فيما بعد... إضافة لذلك، فهي أخرى... ما أريد قوله، أنه لا شيء يجيء عن بولندا، لا شيء... ولا عن داروكا... كان خطئاً... لقد أخطأنا بالكوميديا... وبالمشهد... وبكل شيء... (يجد الورقة) ها هي... ماذا قلت لكم؟ ها هي الآن... الآن، أجل... "تنهدات إسبانيا" (لـ كارميلا) استعدي يا صغيرتي (للجمهور) أجل، سادتي، بعد حين، ستغني كارميلا لحضراتكم الأغنية الرائعة للمايسترو آلباريث المعنونة "تنهدات إسبانيا"... (يتحدث لجانب المسرح، بينما كارميلا، في العمق، ترتب فستانها) غوستافيت، متهيئ؟ (للجمهور) "تنهدات إسبانيا"، أغنية إسبانية جداً، خالصة، ورائعة جداً... أمام حضراتكم، سيداتي سادتي... أقصد، لا، فقط سادتي... كارميلا و ... "تنهدات إسبانيا"...

(وهو يخرج، بدلاً من تنهيدة، كان يزفر، بينما تسمع الدقات الأولى للأغنية)

كارميلا: (تتجه ناحية مقدمة المسرح، تغني بتصاعد)

شاء الرب بقدرته
أن يصهر أربعة من أشعة الشمس
ليخلق بها إمرأة.
وليتم مشيئته
ولدتُ في حديقة إسبانية
مثل زهرة في مشتل ورد.
أرض عظيمة معشوقتي
أرض مباركة من أريج وولـه.
إسبانيا، في كل زهرة من قدميك،
يتنهد قلب.

آه مني، يا لألمي المميت.
لماذا أُبعدُ عنك يا إسبانيا؟
لماذا تقتلعينني من مشتلي؟

أريد أن اعود
لأكون ضوء شعاع الشمس ذاك
الذي تحول لإمرأة بإرادة الرب.

إيه يا أمي، من يستطيع
بنور النهار وضوء الفجر على إسبانيا
أن يولد من جديد.

أفكاري تلبست
بجرأة قبلاتي
لأدعها تسقط كقطر الندى
فوق إسبانيا.

في قلبي جاءت إسبانيا
وصدى يحمل من أغنيتي
لإسبانيا بتنهيدة واحدة.
(ما أن تنتهي النوتة الأخيرة، حتى تبرز كارميلا ذراعها للجمهور)

يا للقشعريرة، يا للقشعريرة في الجلد... في كل مرة أسمع فيها هذه الأغنية. وأنتم لا؟ هذا لأنني حساسة وأتحسس جداً. باولينو يقول هذا لأنني هستيرية، لكن ما الذي يعرفه هو؟ بدم لبني هذا الذي في عروقه، كيف سيتأثر مثلي... (تطفئ ضحكة ماجنة) لو حكيت لكم...! (ساعية لذلك، لكنها بدلاً من هذا تغني ما أن ترى باولينو يدخل). "آه يا ماما إينيس، يا ماما إينيس...!".

باولينو: (منبهراً) جيد جداً... جيد جداً، كارميلا... لكننا لن نغني هذه الأغنية هذا المساء...

كارميلا: (متابعة مزحته) لا؟ يا للأسف...!

باولينو: (للجمهور) تدركون حضراتكم... لقد جهزنا السهرة خلال ساعات قليلة... ولم نستطع التمرين... وبالطبع، كل شيء يمضي شيئا... شيئا...

كارميلا: ليس قليلاً يا باولينو، بل كثيراً. مع هؤلاء السادة الأفضل ألا تستعمل الألاعيب، فلا يبدو عليهم أنهم حمقى...

باولينو: (متوتراً) لا بالطبع لا...

كارميلا: سيتصرفون هم... (تشير إلى نقطة في الصالة، في الصفوف الأولى) خاصة ذلك الضابط السمين بشارب، ومن الخردة التي يحملها على بدلته، لا بد أن يكون على الأقل برتبة جنـرال... والذي لم يضحك ولو لمرة طوال الليلة.

باولينو: يكفي يا كارميلا...

كارميلا: (للمتلقي نفسه) صحيح يا روحي، أي رتبة تحمـل؟ (إشـارة متملقة) لأن هذا الذي أقوله؛ هـؤلاء السـادة لمجـرد النظـر لوجوههم تدرك أنهم يفهمون بهذا الفن الرفيع، حتى لو قُدِم لهـم بلا تزويق وبتعثر، مثلما نقوم به الآن... (نقلة) مـا يشـعرني بالسوء هو حال هؤلاء المساكين، إضافة إلى عدم فهمهم شـيئاً، سيمضون للعالم الآخر بإنطباع سيء... (قبل أن يسكتها باولينو، تغير الموضوع.) طيب، لأصمت... لأن باولينو سيثور حالاً... لأنني، ما أن أقف أمام الجمهور، حتى ينتابني شـيء يجعلنـي أزوع كل شيء ولا أحد يستطيع ان يوقفني...

باولينو: هذا هو، سادتي... إنـه... إنـه "عفريـت الفـن"... سـحر الصالات... وهو ما تحمله كارميلا في عروقها منذ... منـذ أن كانت صغيرة هكذا... كانت تكسب قوتها من الغناء والرقص... في طرقات بلادها في الأندلس...

كارميلا: في الطرقات لا، يا باولينو... كما لو كنـت عنـزة... فـي الشوارع وفي الصالات وفي... (غمزة ماكرة).

باولينو: بالطبع لم أعن الطرقات.. لا... كان تزويقاً شعرياً... (يراجع أوراقه) لكنها هي دائماً ما كان لها هذا... السحر... الجن... السحر... ها هي! أجل أيها السادة... وعن السحر، سحر السحرة هذا... (غمزة تواطؤ) باو ــ لي ــ شنغ... (يحيي) ومساعدته... كال ــ مين ــ لا نغ... (يقدم كارميلا. يشير ناحية الجانب وتصدح أنغام موسيقى مشرقية. يقرأ، في الوقت نفسه الذي تقوم فيه كارميلا بحركات غريبة بجسدها وذراعيها). إنتباه، سادتي، أعيرونا إنتباهكم، لأننا سندخل حالاً في عالم الغموض والفنطازيا، على يد الأستاذ الغامض باو ــ لي ــ شنغ و الآنسة المدهشة كال ــ مين ــ لانغ... (تصفيق) ستدهشون تماماً بقدراتها المدهشة. (لـ كارميلا) مستعدة يا آنسة؟ (تؤكد له كارميلا دون أن تترك تميعها) طيب... (لكواليس الصالة) أضواء غريبة، من فضلك... (تغيير بالأضواء) كما ترون سادتي، كيف يقوم خادم لكم، بقدراته السحرية، على تجميع ما يتحطم... (محاولاً أن يكون ظريفاً) شيء مفيد في أوقاتنا هذه... (بجدية) طيب، عذراً... أريد القول... في النهاية، ما أردت قوله؛ هذه الربطة مثلاً... (يبرز ربطته للجمهور) تلاحظ أنه بحال جيد... والآن لترون سيادتكم... (يستخرج من جيبه مقصاً، يطقطق به، ثم يمد به بحركة مسرحية لـ كارميلا) آنسة كال ــ مين ــ لانغ، قومي بعملك.

(كارميلا بحركاتها الغريبة، تتناول المقص وتعرضه أمام الجمهور، تدور حول باولينو وهي تطقطق بالمقص على صوت خطواتها،

في النهاية تمسك بعناية الطرق العريض من الربطة وتمضي بقصها من الأسفل حتى الأعلى. ترمي للجمهور بكل قطعة، وعندما لم يبق شيء سوى عقدة الربطة، تنفصل عن باولينو، تعرض النتيجة وتؤدي التحية).

ها قد رأيتم أنه ليست هناك حيلة... لقد تم تقطيع الربطة وكأنها قطعة سجق، فها هي أمامكم قطعا... إذاً، إعيروني إنتباهكم وستتأكدون من قدراتي السحرية...

(يرفع يديه بوقار حتى صدره، يقوم بخطوات سحرية بينما يدور نحو نفسه، ما أن يصبح أمام الجمهور مرة أخرى، حتى يعرض ربطته وقد عادت... جديدة.)

بوالا... بالفرنسية يعني: أنظروا لها!

(الإثنان يصفقان بإحتفالية، على الطريقة الشرقية).

هذا ليس كل شيء، سادتي! بعد لحظات سنقدم لكم مشهداً خارقاً نال التقدير من كل جمهور باريس ولندن وموسكو... (يرتعب) لا، أردت القول... في برلين... وفي روما... وفي سالامنكا... وفي ثامورا... بإختصار، في بقاع عديدة... كارميلا، الحبل!

(إشارة مصممة لـ كارميلا، التي ماتزال شاردة وهي تنظر إلى منطقة محددة من الصالة؛ هناك حيث، بصورة محتملة، يجلس السجناء). كارميلا!...

كارميلا: (جافلة) ماذا؟ (تنتبه وتمضي متميعة)

باولينو: الحبل، آنسة كال.

كارميلا: أي حبل؟... آه، أجل... (تنتقل حتى الجانب، تختفي للحظات

وتعود بحبل عليه مشابك لنشر الملابس. تعطيه لـــ بـــاولينو، عندما يريد أخذه، يتنبه للملاقط).

باولينو: (غاضباً، دون أن يأخذ الحبل، يشير للمشابك) رجاء، آنسة...

كارميلا: (منتبهة لذلك، مغادرة شخصيتها وتقوم بنزعها من الحبل) آه نعم!. ذلك أنني قبل حين كنت قد نشرت عليه ملابـــ...

باولينو: (مقاطعاً) آنسة، رجاء...

كارميلا: حسناً، حسناً... (ترمي بالمشـــابك إلـــى الجانـــب وتعـــود لشخصيتها).

باولينو: (يأخذ الحبل) لاحظوا أيها السادة، هذا الحبـــل المـــدهش مـــن خيوط متينة، قوية وشديدة كأنه سلك حديدي... تقريباً... (يشـــد عليه ويريهم مقاومته). ولا عشرة رجال قادرون على قطعه... حسناً، مساعدتي الحاضرة هنا، ستقوم بربط يدي وقـــدمي بـــه، وأنا، بفضل قدراتي السحرية، سأتخلص منه بتنهيدة واحدة! هيا يا آنسة كال!

(يعطي الحبل لـــ كارميلا ويفرد ذراعيه أمامها مصـــالباً معصـــميه. يستمر بالحديث بينما كارميلا تقوم بشد يديه بطرف من الحبل).

قيديني بكل قوتك، بلا حيلة ولا خديعة... أضغطي، أضـــغطي... ليـــرى هؤلاء السادة أنه من المستحيل على أي بشر محاولة الخلاص مـــن متانة عقد البحارة هذه و... (بصوت خفيض) ليس بهذه المتانة، يـــا حيوانة... (بصوت مرتفع) هذه العقد البحرية بوسائل طبيعية... بل ومفبركة... أجل أيها السادة، لأنه فقط بقدرات خارقـــة، أو قولهـــا بهذه الصورة... بوسائل سحرية... (لـــ كارميلا) حسناً، هذا يكفي

يا امرأة... (للجمهور) لقولها بهذه الصورة. والآن، القدمان... (بينما كارميلا، مقرفصة، تقوم بشد القدمين من طرف الحبل الآخر، يعرض يديه للجمهور). ها هي أمامكم سادتي، ملتصقة، ملصوقة... مشدودتان بصورة... ولا أحد بقادر على...

(يبدو أن الحبل قصير، ولأجل أن تقوم كارميلا بشد القدمين، تجبره على أن ينحني، منصاعاً لها بوضع غير مريح).

ولكن ما الذي جرى لك يا آنسة؟

كارميلا: الحبل، ليس طويلا بشكل كافي.

باولينو: أرى ذلك... عليه... ليس من الضرورة أن...

كارميلا: هل تريد أن أوثقك أم لا؟

باولينو: طبعاً يا آنسة... قيديني، قيديني... لكن (بصوت خفيض) هل تتذكرين العقد؟

كارميلا: (على الوتيرة نفسها) أية عقد؟

باولينو: (على الوتيرة نفسها) التي علمتك إياها.

كارميلا: (على الوتيرة نفسها) هيه.. وأين لي أن أتذكرها؟

باولينو: (على الوتيرة نفسها) لكن... حسناً، ما الذي صنعته بي؟

كارميلا: (على الوتيرة نفسها) تقييدك.

باولينو: (على الوتيرة نفسها... متوتراً) لكن، هكذا... ولا بأية طريقة؟

كارميلا: (على الوتيرة نفسها) لا يا رجل، أنها عقد خنزيرية.

باولينو: (مغموماً) عقد خنزيرية؟ وماذا تعني؟

(يقفز قفزة عنيفة- ذلك أن قدميه مشدودتان- ينفصل عن كارميلا، التي تسقط على الأرض. مواجهاً الجمهور، متقوساً، بأريحية

مزيفة). والآن سادتي، ها أنا أمامكم!... مقيد مثل... مثل خنزير! ما يجري هو ... حصل ما أسميه... خللاً تقنياً... (ينتقل حتى الطرف بقفزات مخزية) يبدو أن... الوسائل الخارقة... أي الساحرة... هذه هي... يبدو أنها الليلة ليس لها... أي أن العرض الخارق ليس... ليس جاهزاً... بطريقة... لتعذروني حضراتكم!

(يختفي من المشهد مع القفزة الأخيرة. ما أن تقوم من قعدتها، تظل كارميلا لوحدها على الخشبة، مرتبكة قليلاً).

كارميلا: الحقيقة لا أعرف ما عليّ أن أقوله لكم... ما حدث هو أننا لم نتمرن بما يكفي... وهذه هي النتيجة...

صوت باولينو: (من الجانب، غاضباً، بهمس يُسمع) كارميلاً! المقص!

كارميلا: ماذا؟... آه... المقص... (تخرجه من فتحة ثوبها وتمضي للجانب، دون أن تتوقف عن الحديث مع الجمهور). بالطبع، كل شيء مضي مثلما كان... لأنني، خادمتكم، لا يعجبها...(تعطيه المقص، ويأخذه أحدهم) أن تقوم بالسخافات كهذه... وقبل ذلك كنت أقول للضابط... (ناحية كواليس الصالة) أليس كذلك، سيادة الضابط؟ أليس صحيحاً إنني كنت غاضبة من القديسة مريم بسبب أنني ساقوم بهذا الدور هنا... وعلاوة على هذا بثوب أبدو فيه كمهرجة...؟

(تبرز يد باولينو من الجانب، وبجرة شديدة، يسحب كارميلا من خشبة المسرح. بعد ثوان معدودات من الهمس، يظهر باولينو عاصراً معصميه، ومحاولاً أن يسترجع كرامته).

باولينو: حسناً، سادتي... أطلب عذركم لأنه... هذا واضح، فالسحر له جوانبه الغامضة... لكننا في الختام، سنستمر بالسهرة مع... (ينظر لأوراقه) مع... أجل، في عالمنا هذا، الخالص جداً... مع مسرحية ثارثويلا! أجل أيها السادة، كارميلا وخادمكم... كارميلا... (إشارة للجانب) وخادمكم ها هنا، سنقوم بالغناء لحضراتكم... لحضراتكم، الثنائي الشهير... الثنائي الشهير... كارميلا! (بتهكم مزيف، للجمهور) من أجل تشكيل ثنائي نحتاج لإثنين، أليس كذلك؟... كارميلا!

كارميلا: (تدخل أخيراً، تقوم بترتيبات صعبة في الجانب العلوي من ثوبها) ها أنا هنا! (مضيفة بهمس خفيض) يا لك من جحش!

باولينو: (للجمهور) ها هي هنا أخيراً!... (هامساً) ماذا جرى؟

كارميلا: (بنفس الحركة) حمالة الصدر.

باولينو: ماذا؟

كارميلا: حمالة الصدر... أنخلعت بشدة واحدة...

باولينو: وماذا فعلت؟

كارميلا: ماذا علي أن أفعل؟ لقد خلعتها...

باولينو: (مرعوباً) أنتبهي، حتى لا تدهشينا بإستعراض مفاجيء...

كارميلا: ستكون غلطتك.

باولينو: (بصوت مرتفع، للجمهور) حسناً سادتي... يبدو أننا أجتزنا بسعادة خللاً... فنياً... لنمضي دون تأخير.... لعرضنا القادم، وهو كما قلت لكم، الثنائي الشهير "آسونثيون وخواكين" مسرحية الثارثويلا "سيدة باقة الورد"... (لـ كارميلا) مستعدة؟ (هي

تستقر ناحية الطـــرف) مســـتعد؟ (ناحيـــة كـــواليس الصـــالة) بريبارتي؟... أردت القول... مستعد حضرة الضابط؟ (تغييـــر بالأضواء) آنديامو سوبيتو.... (مترجماً لـــ كارميلا) "أريـــد أن أقول لك شيئاً".

كارميلا: (على الوتيرة نفسها) "قل لي ما تشاء، لأنني أسمع كل شيء".

باولينو: "كل شيء؟".

كارميلا: "سوى ما يسيء لسمعتي".

باولينو: "قبل أن أسيء لحضرتك، فلأفقد لساني... إذا أنا..."

كارميلا: "ماذا؟".

باولينو: "إذا أنا..."

كارميلا: "أكمل. تخاف مني؟"

باولينو: "لا أعتقد. ما أريد أن أقوله لحضرتك، سأقوله بطريقة مناسبة".

(يغني)

"منذ زمن أزور المشغل

ولا أعرف لم أفعل ذلك".

كارميلا: (على المنوال نفسه)

"هذا شيء مثير للخوف

وهو ما لا أفهمه".

باولينو: "عندما أريد أن أفعل شيئاً

لا أعرف ماذا أفعل".

كارميلا: " إذاً أراك منتهياً،

لأنك كسول ومنبطح".

باولينو: "أراك في كل الجهات".

كارميلا: "دائماً تقريباً عند بوابتي".

(يستمر الثنائي الشهير بالغناء، وخلال التمثيل، يلاحظ على كارميلا دلائل إضطراب واضح بينما تنظر قلقة ناحية الصالة حيث يجلس السجناء. مع إنتهاء المشهد- أو ربما قبل ذلك- يبدو على كارميلا أنها قد توصلت لحل، تتجه بصورة قاطعة للجمهور، إزاء تبلد باولينو).

كارميلا: ومع الثنائي الجميل هذا، سادتي الجنود، ينتهي الحفل... لأن دورتي الدموية قد حلت، وأشعر بالألم...

باولينو: (يهمس مضطرباً) ماذا تقولين يا مجنونة؟ (للجمهور، محاولاً التخفيف) مخرج آخر للـ... التي لا يمكن تصحيحها، كارميلا، ذات اللسان السليط... لتعذرونا للحظة... (يخرج من خشبة المسرح، قابضاً بعنف على كارميلا. يسمع لغطهما ما بين هياكل الديكور، تتميز جملاً مثل:)

صوت كارميلا: أقول لك إنني لن أقوم بذلك!

صوت باولينو: بل ستقومين!

صوت كارميلا: لا!

صوت باولينو: تغيري!

صوت كارميلا: لن أتغير!

صوت باولينو: لا بد أن تخرجي!

صوت كارميلا: لا أرغب بذلك!

صوت باولينو: غوستافيت، هيا لنغير لها ملابسها!

صوت كارميلا: لن تجرؤ على ذلك، غوستافيت!

صوت باولينو: أنا الآمر هنا، أنا مدير الفرقة!

(بعد جمل لا تفهم، يدخل باولينو مضطرب جداً، محاولاً السيطرة على نفسه).

باولينو: (للجمهور) والآن، أجل، سادتي... الآن سنقوم بتمثيل حوارية فاحشة ظريفة... لكن ليست تلك التي أعلنت عنها سابقاً، لأنني قبل ذلك قد أخطأت، لا بد أنكم أدركتم ذلك... والآن، أجل؛ الكوميديا الموسيقية الظريفة المبتذلة "طبيب توكيميتودا"[١٧]... والتي حققت النجاح الكبير في عرضها بمدريد، منذ موسمين، لقد أخترنا حواراً ظريفاً مبهجاً... حيث الضابط ريبامونتي قد كان له... النصيب الأوفر بـ... تصحيحها، لتناسب يومنا هذا... (يرسل نظراته، ما بين القلق والغضب، نحو جانب المسرح) طبعاً... النتيجة هي... أريد القول... أنها قد لا تكون ظريفة جداً... لأن... حسناً، لأن كارميلا لا تشعر أنها بصحة جيدة... (يحاول التبسم) كما تعرفون؛ أمور نسائية... ومن المحتمل أن يكون عرضنا... ليس مرتباً... (متشجعاً، لـ كارميلا) لكن، ما علينا أن نعمله، سنقوم به... وكيف سنعمله! من "ألفه" إلى "يائه"... لن ينقص شيئاً! والآن حالاً! (نحو الكابينة) الأضواء، سيدي الضابط! (تغيير بالأضواء. يدور باولينو حول نفسه ويرتدي نظارات وأنف مزيف. يتمشى على

---

١٧ توكيميتودا: معناها الحرفي (أمسكني أو جس لي كل جسدي".

خشبة المسرح مؤدياً شخصية طبيب مخنث. يتجه نحو متفرج غير مرئي) ليعودوا يوم غد، هل تسمعيني أيتها الممرضة؟ اليوم لا أستقبل أي أحد. ليمضي الجميع، الكل... (يحدث نفسه) يا للبشاعة! هذا النجاح المهني سيقضي عليّ. كل يوم، العيادة ممتلئة... وتسعة وتسعون بالمائة من زبائي، هن النساء!... أعني؛ سيدات، نساء، أناث... من كل الأعمار، من كل ظرف وحال؛ متزوجات، بلا أزواج، ثكالى، مطلقات، شابات، عجائز، عذراوات، شهيدات... والشهادة، شهادتي! من المؤكد أن الذنب في كل هذا هو لقبي الملعون هذا، حيث يجذبهن مثل الذباب؛ سيرافين توكاميتودا... يا للصليب! (ينظر للأعلى) أبي، كم أكرهك! لماذا لم تسمني فرنانداث مثل كل البشر؟ (نحو الجانب) أمضي أنت أيضاً يا ممرضة. لن أحتاج لخدمتك حتى يوم غد... (مع نفسه) خدمتها!... وهي الأخرى، أكثر من ممرضة، الأفضل أن تكون عارضة للملابس الداخلية. لأقل فرصة، وهوب! ها هي تستعرض أمامي ما ترتديه... والتوقفات التي تقوم بها ما أن تناديني في كل مرة... (مقلداً صوتاً انثوياً) "دكتور... توكيميتودا..." يا للإستهتار! (تُسمع ضربات من الجانب) يطرقون الباب! منْ يكون؟

صوت كارميلا: (من المؤكد بدون رغبة، بينما تُسمع طرقات جديدة) أفتح لي الباب، رجاء، دكتور!

باولينو: لست هنا! أقصد... ليس هنا! الدكتور ليس هنا!

صوت كارميلا: ألست أنت دكتور توكيميتودا؟

باولينو: لا يا سيدتي... أنا مساعده. الدكتور غادر منذ لحظات.
صوت كارميلا: لا يهم. افتح لي، إنها مسألة حياة أو موت.
باولينو: لن أفيدك إذاً، فما أعرفه هو وصف حبة صداع فقط!
صوت كارميلا: إن لم تفتح لي، سأظل عند البوابة حتى يأتي الدكتور صباحاً.
باولينو: (لنفسه) يا للسماء، ما هذه المسؤولية! لا وسيلة عندي غير أن أدعها تدخل، وبعد ذلك، سأجعلها تخرج... (يفتعل فتح باب جانبي) أدخلي سيدتي. لكنني أقول لك إنني...
(تدخل كارميلا مرتدية معطفاً طويلاً. كل أدائها، بالتالي، مصطنعاً، آلياً، تأكيداً لإستياء متزايد).
كارميلا: أنت هو الدكتور توكيميتودا. لا تحاول أن تخدعني. أعرفك من صورك بالصحف.
باولينو: ألا تشتبهين بي والدكتور مارنيون، هو يظهر كثيراً في الصحف؟
كارميلا: يظهر، إنه يظهر كثيراً. لكن قيل لي أنه قليلاً ما يدخل...[١٨]
باولينو: وحضرتك، ما الذي تعانين منه؟
كارميلا: أنا؟ أشعر بحرارة مرتفعة...
باولينو: يا للهول... حرارة.
كارميلا: نعم يا دكتور. حرارة. ضعْ لي مقياس الحرارة وسترى ذلك!
باولينو: الحق أن مقياس الحرارة... معطل.

---

١٨ إشارة لشذوذ الدكتور غريغوريو مارانيون، السياسي والمنظر المعروف، آخر رئيس للجمهورية.

كارميلا: ضعه لي، وسترى كيف يعمل.

باولينو: إضافة لهذا، هل تشعرين بأعراض أخرى؟

كارميلا: كثيرة يا دكتور، لكن من الأفضل (تتمايل) من الأفضل... (تظل صامتة، في موقف المتجهمة)

باولينو: (مرتجلاً) أجل، من الأفضل أن... (كل مرة أكثر قلقاً، محاولاً إستدراج كارميلا للإستمرار) أن تخلعي ملابسك، أليس كذلك؟ لكي أكشف عليك... (لكي ينتصر على مقاومتها، ينزع عنها معطفها، جسدها ملفوف بعلم الجمهورية. يعود باولينو لدوره، قلقاً من حال كارميلا) يا للعجب... هذه الألوان لا تعجبني إطلاقاً... يبدو أن حضرتك تعانين من... من تسمم.

كارميلا: (كل مرة أكثر إستياءً، وهي ترمي بنظراتها ناحية المكان المحتمل للسجناء) أنت محق يا دكتور... لكن دائي يعود... منذ مولدي.

باولينو: كيف هذا؟ (أزاء صمت كارميلا) قولي... قولي... كيف هو...؟

كارميلا: (دفعة واحدة) كما ترى يا دكتور، لقد ولدت بالخطأ، حضرتك تفهمني، بلا إنتباه.

باولينو: فهمت. ولدتِ في عثرة أبريل.[١٩] في الربيع، هذا معروف... وهو دون شك، من هذه الولادة، نضجت هذه النبتة... (كارميلا

---

١٩ في إشارة لشهر أبريل من عام ١٩٣١ وهو تاريخ إعلان الجمهورية الثانية.

تصمت. يرتجل باولينو دورها) من المؤكد أن... واحدة من مرضعاتك... قد نقلت لك من حليبها السيء...

كارميلا: (بجفاء) هو ذاك.

باولينو: (ملتزماً في كل مرة ما على كارميلا أن تقوله) ومن المؤكد أنه... في الأشهر القليلة... قد بدأت تظهر... ماذا، ماذا؟ قولي ذلك... بقع حمر على الجلد، أليس كذلك؟

كارميلا: (بجفاء) هو ذاك.

باولينو: (متعرقاً بسبب الجهد المبذول لإنقاذ المشهد المتذبذب) وأن تكوني مريضة جداً، أليس ذلك حقيقة؟ فالكل رغبوا بتطبيبك... أليس كذلك؟... البعض أراد أن يعطيك إياها من الأمام... آخرون من الخلف... (متلاعباً بـ كارميلا بشكل داعر) البعض من الأمام، وآخرون من الخلف، البعض من الأمام...

(فجأة من مكان غير محدد- ربما من الصالة- تترنم أصوات رجالية يحزر من بينها لهجات مختلفة، تُسمع أغنية الجمهورية الشعبية:)

جيش الإيبرو

رومبا، رومبا، لا رومبا

ليلة جرى النهر،

آي.. كرميلا، آي.. كارميلا... (إلخ).

كارميلا: (تتخلص بعنف من باولينو) أمض لتأتي أمك في مؤخرتها!

(تنضم لغناء الميليشيات، في الوقت الذي تفتح وتفرد العلم على إمتداد جسدها العاري، مغطاة وحسب بلباس داخلي أسود طويل. صورتها لا يمكن أن تكون أبعد من صورة محركة للعواطف

لأمرأة من عامة الناس تنتمي للجمهورية).

باولينو: (مرتعباً) كارميلا! نهـــ... نهد... نهداك!

(حدث كل شيء بشكل سريع، في الوقت نفسه الذي بدأت فيه الأضواء تتذبذب وتتخذ صبغة غير واقعية. الغناء كـذلك- وصـرخات أخرى و ضرب في محاولة لإسكاته- يبدو متعثـراً. بـاولينو بدوره يحاول بلا نجاح تلطيف دور كارميلا المتحدي، لذا يلجـأ لعرضه الذليل، بحركات صاخبة ومواقف رعناء، يبتدئ بإحداث أصوات صاخبة من حوله، ولكي ينقذها يحاول إشـراكها فـي عرضه).

باولينو: (مرتجلاً، مغموماً وهزلياً بشكل زائف) هذه هي الريح... التي توافق حضراتكم...! وهذه الأنغام... هي التي تناسبكم! خـذوا من هنا...! وخذوا من هناك...! دو، ري، مـي، لا، سـول... سي، ري، دو، مي، فا !

(يتلاشى الضوء، ما عدا ضوء متذبذب حول شخصية كـارميلا. تنخفض كذلك الأصوات والأنغام في المسرح، في الوقت نفسـه تنـذر بالشؤم، مقلقة، أصوات الإعدام؛ خطوات حربية على الأرض، أصوات آمرة، إحكام ملء بنادق إستعداداً للرمي. بينما يخفت الدوي، يعم تماماً (إظلام).

خاتمة

(في العتمة، يُسمع صوت باولينو، من خارج خشبة المسرح، يصرخ:" ها أنا هنا، ها أنا..." يُسمع صوت "الكليك" وتتوقف أضواء التمارين. يدخل باولينو وقد إرتدى قميصاً أزرق وتحت ذراعه مكنسة.)

باولينو: (متحدثاً مع كواليس الصالة) ها أنا هنا... كنت أضع على جسدي هذا... (يمزح بلا ثقة) هل يليق بي؟... (بجدية) حسن، ها أنا جاهز... (يتفقد المسرح، دائماً ما يحاور المسؤول المفترض للكابينة) هو ما أقول: أكنس هنا، أمسح هنا قليلاً، ضعْ خمسة كراسي، الأعلام، الصليب... آه، والعلاقات... كل شيء جاهز... وفيما بعد... أجل؛ إحمل الغرامفون لتصليحه، لا أريد أن يتوقف إثناء العرض... (يبتدئ الكنس) بساعة واحدة وكل شيء سيكون جاهزا. وإذا ما أصريت، أستطيع العثور على أزهار لتجميل الصليب، أو الأعلام، أو... حسن: أنا أحصل عليها وأنت تقول لي أين نضعها، آه غوستافيت؟... الآن إذا لن يبدو لك سيئاً، الأحسن دون أزهار، مثلما تفضل... أسمع... (ناحية الكواليس) هل مازلت هناك؟ لا تنسى أن تقول لرئيس البلدية... لأنك ستمضي للإجتماع ذاك، أليس كذلك؟... إذاً قل لـ دون ماريانو كيف أتصرف ها هنا؟ أنت تعرف أنه بالنسبة لي، لا تنقصني الرغبة... ليعلموا بأنه معي يستطيعون طلب أي شيء... وإذا ما عاند، أشرح له أنني أقبل بعمل الحارس... على الأقل أستطيع كسب بضعة نقود مما يساعدني على العيش حتى تتحسن الأحوال... فيما بعد سنرى شيئاً

آخر... لكن على أية حال، ليعرفوا بأنني من أصول طيبة... من قمح نظيف كما يقال... هل تسمعني؟ هل أنت هناك يا غوستافيت؟ (يراقب ويتنصت). ماذا يجري هنا، آخر يودعك على الطريقة الفرنسية... أو الإيطالية... (يستمر بالكنس بصمت).

(ينبعث ضوء أبيض من طرف الكواليس. بعد قليل تظهر كارميلا بثوب عادي. تأتي قابضة على شيء تحتفظ به في يدها. تقطع كل الكواليس ببطء، دون أن تتوقف عند باولينو، الذي بدوره لا يشعر بها، تتوقف عندما تكون على وشك الخروج. باولينو كان مايزال يكنس مقدمة المسرح، يقوم بعجالة بعدة ضربات مكنسة على الأرض، هائجاً).

أنظر كيف هي!... يا للأمهات اللاتي ولدتكن... هذا الشعب سينتهي بأن يأكله النمل... (يحك جسده) وأنا سيأكلني البرغش...

كارميلا: (تنظر له وتتعجب مندهشة) باولينو!

باولينو: (يتصرف بردة فعل مزدوجة، وينتهي بأن يتصرف بجفاء، مستمراً بالكنس) ماذا؟

كارميلا: لكن، ما الذي تضعه على جسدك؟

باولينو: أنا؟

كارميلا: أجل: هذا القميص... يا لبشاعته عليك!

باولينو: ها أنت ترين...

كارميلا: من أين حصلت عليه؟

باولينو: لقد أعطوني إياه. لأن القميص الآخر كان...

كارميلا: لكن هذا، بهذا اللون الـ...

باولينو: (بحدة) أنا يعجبني.

كارميلا: حسناً يا رجل... ماذا دهاك؟

باولينو: أنا، لا شيء؟

كارميلا: نعم، معي... لماذا تحدثني هكذا؟

باولينو: لا شيء يحدث معي.

كارميلا: متأكد؟

باولينو: متأكد.

كارميلا: حاول ألا تُحدث المزيد من الغبار، فالأرضية لم تعمل لك سوءاً... يا لطريقتك بالكنس... هاتها، دعها لي... (تحاول أن تأخذ المكنسة، هو يرفض بحدة).

باولينو: لا!... ما يحدث هو أنني تعبت.

كارميلا: من ماذا؟

باولينو: منكِ!

كارميلا: مني؟ تعبت مني؟

باولينو: حسناً... منك، لا... من هذا... (إشارة كسولة، تعنيها) مما يحصل عندما أبقى وحيدا... حيل كثيرة، وخداع أكثر...

كارميلا: لا يسرك مجيئي؟

باولينو: لا... أقصد نعم، لكن... لا، لا يعجبني!

كارميلا: لماذا؟

باولينو: (بعد وقفة) فيما بعد يكون أسوأ...

كارميلا: (بعد وقفة أخرى) إذاً... فأنا كذبة؟

باولينو: لتقولي لي أنتِ...

كارميلا: لكنني هنا، معك...

باولينو: معي، هاه...

كارميلا: قبلني.

باولينو: قبلة! أمضي بعيداً عني... هذا ما ينقصني... قبلة...

كارميلا: نعم، قبلني، لنرى ماذا يحدث.

باولينو: الموتى لا يُقبلون.

كارميلا: أعرف، لكن... قبلة واحدة، لنرى... (تقترب منه)

باولينو: (يتراجع) لنرى ماذا؟

كارميلا: ما يحدث؟ الآن تتقزز مني؟

باولينو: لا، لكن...

كارميلا: تعتقد أنني عش ديدان.

باولينو: أي أشياء تقولين!

كارميلا: طيب فالأسشتوري، كان لاصقاً بي من الخلف...

باولينو: أي أشتوري؟

كارميلا: ذو الرأس المشجوجة...لا، ليس أشتورياً، بل تقريباً من أشتوريا؛ فهو من ميراندا ديل إيبرو. كان في أشتوريا فقط عندما... بيدرو... أسمه... بيدرو روخاس.

باولينو: كان بالخلف منك؟

كارميلا: لو رأيته!

باولينو: يا للعار!... لا يهمني.

كارميلا: آه، لا يهمك...

باولينو: بالطبع، فهو ميت مثلك... أو أكثر.

كارميلا: لو رأيت كيف كان يقرصني.

باولينو: يقرصك؟ وأنت تتركينه، طبعاً... (يغضب) وما يهمني أنا! ها أنت تشغلي بالي بحكاياتك مرة أخرى!

كارميلا: بماذا اشغل بالك أنا؟

باولينو: بما تشغلني، تقول!... لكن أنت... هل تظنين أنه بعمري هذا، أصدق بأشباحك؟

كارميلا: أسمع، لا تخطئ في حقي، أنا لست بشبح.

باولينو: إذا لم تكوني شبحاً، وتظهرين لي هنا، وفوق هذا أنت ميتة، وأنا حي وحقيقي، وها أمامك كل شيء، نتشاجر من جديد، فقولي لي... ماذا ترين.!

كارميلا: أرى ماذا؟

باولينو: (يتنازل) وما أدراني أنا...

كارميلا: (بعد وقفة، تعرض له ما تحمل بيدها) هل تريد؟

باولينو: ما هذا؟

كارميلا: قمح.

باولينو: قمح؟

كارميلا: أجل، أحمل قبضة منه.

باولينو: وتأكلينه نيئاً؟

كارميلا: على أية حال لا أشعر بطعمه... أتلهى بمضغه... هل تريد؟

باولينو: لا، شكراً... (موجة غضب جديدة) لنرى! لا تظهرين لي في الجادة الكبيرة ولا في بويرتا ديل بوثو ولا في الإيكونوماتو ولا في المركز الزراعي...! كل ذلك حقيقة... هناك حيث تجري

الأشياء الحقيقية، مثل مرور الباصات التي تمضي إلى القريـــة، والفاشيست يحملون على الناس بضربهم بالعصـــي... أو هنـــا، فيما بعد، مع غوستافيت... أو في المساء، عندما يمتلئ بالنـــاس حقيقة... لكن، لا، السيدة تظهر لي فقط عندما أكـــون وحـــدي والمسرح فارغ، ومع هذا تريدني أن أصدق كل ذلك... وفـــوق هذا تحكي لي عن قرصات ذلك المسمى بيدرو روخاس!

كارميلا: (بصوت خفيض) أعطاني هذه أيضاً... (تخرج ملعقة)

باولينو: ماذا؟

كارميلا: هذه الملعقة... أهداني ملعقته...

باولينو: (بجنون) ملعقته... (نوبة ضحك هســتيرية) ملعقتـــه! بيـــدرو روخاس يهديها ملعقته! الواحد يموت من هذا! لتـــروا ســـادتي! عديم الخجل بيدرو روخاس يهدي ملعقته لكارميلا! لا تضـــيعوا الفرصة!...

كارميلا: لتنظر لنفسك...

باولينو: (يتوقف عن الضحك حالاً) أنا، ماذا؟

كارميلا: هذا القميص الذي أهدوك إياه!... تبدو كراهبة في يوم جمعة مقدس!

باولينو: (بجفاف) لا طرافة فيما تقولين.

كارميلا: (تضحك) لأنك لم تر نفسك!... (يعود باولينو للكـــنس مـــن جديد، غاضب جداً. هي تتوقف عن الضحك تدريجياً. تقتـــرب منه، لتصالحه، وتحاول أن تأخذ منه المكنسة. هو يقاوم). هيـــا، أعطني إياها...

باولينو: (بضعف) لا، دعيني... (لكنه يقبل في النهاية. هي تمنحه قبضة من حبات القمح التي في يدها وتبدأ بالكنس).

كارميلا: أنا كذبة... ولكن هذا الكنس حقيقي...

باولينو: (يحدق بها) فيما بعد الأسوأ...

كارميلا: سيكون سيئاً على أية حال... أليس كذلك؟

باولينو: نعم، لكن... (يبدأ بأكل حبات القمح دون أن ينتبه لنفسه) طبعاً، بالنسبة لك شيء سهل؛ تختفين وكل شيء ينتهي... الذي عليه الإستمرار هنا وتحمل كل هذه القذارة، هو أنا. أنت لا فكرة عندك عما يحدث... لقد غادر الجيش القرية، ويقال أنهم أحتلوا كينتو وآلكانيث وغاسبي... وسيصلون البحر خلال أيام... إذا لم تقاوم كاتلونيا...

كارميلا: ها أنت تذكر لي كاتلونيا... لقد التقيت بإثنتين من كاتلونيا.

باولينو: صحيح؟

كارميلا: الإثنتان تدعيان مونسي، طبعاً... لكنهما لا تتشابهان أبداً...

باولينو: يا لعجائب الأمور...

كارميلا: واحدة شابة، من ريوس، تقول أنه حان الوقت لعمل شيء بدلاً من الإنتظار.

باولينو: وماذا ستفعلون، وأنتم بهذه... الحال؟

كارميلا: هذا هو الأمر. لأن مونسي تقول هذا... أما الأخرى، الكبيرة... فتقول أن هناك وسائل عديدة ليكون الواحد ميتاً...

باولينو: حقيقية...

كارميلا: مثلما عليه وسائل عديدة في الحياة.

باولينو: هذا صحيح...

كارميلا: وكما تقول مونسي، إننا إذا لم...

باولينو: منْ فيهن؟

كارميلا: الشابة، من ريوس... هذا لأن...

باولينو: والأخرى، الكبيرة، منْ أينْ؟

كارميلا: وما أهمية ذلك؟

باولينو: لا أهمية له... فقط من أجل ألا تختلط علي.

كارميلا: لا أعرف، لم تقل لي.

باولينو: يا للغرابة...

كارميلا: غريب؟ ولماذا؟

باولينو: لأن الكاتلاني ما أن يراك حتى يعرف نفسه بأنه" أنا كاتلاني من مانريسا... أو من فيغيراس... أو من...".

كارميلا: طيب، ها أنت ترى أن مونسي لم تقل لي شيئاً.

باولينو: غريب... على الأفضل، أنها تصنعت كونها كاتلانية وهي ليست بكتلانية.

كارميلا: لكن لنرى يا روح الرب! لماذا تتصنع كونها كاتلانية إن لم تكن كذلك، هذه المرأة المسكينة؟

باولينو: ومن أين لي أن أعرف... حتى إنني لا أعرفها... هناك بشر غريبو الأطوار...

كارميلا: أنت هو الغريب حقاً!

باولينو: أما الأخرى، فعلى العكس، قالت لك مباشرة "أنا كاتلانية من ريوس". شيء طبيعي.

كارميلا: لكن تعال هنا. ما الذي يهمك أنت؟ ما أحكيه لك أنا أم شهادة ميلادها؟

باولينو: أنتِ محقة: إحكِ، إحكِ...

كارميلا: نسيت أين كنا...

باولينو: من ريوس... كانت تقول التي من ريوس...

كارميلا: آه، أجل... تقول مونسي بأنه علينا أن نبحث عن أولئك الذين يرفضون شطبهم بسهولة، أي المصرين منهم، كما تدعوهم مونسي... وأن نتجمع لتشكيل نادي أو عصبة أو نقابة... على الرغم من أن مونسي تقول بأنه يكفينا نقابات... لكن مونسي الأخرى عارضت ذلك... لأنها تقول بأن...

باولينو: اسمعي.

كارميلا: ماذا؟

باولينو: لقد أخلتط عليّ الأمر... أي مونسي منهما التي قالت...؟

كارميلا: (حاسمة) نعرف ماذا أقول لك؟

باولينو: ماذا؟

كارميلا: ليس أسمهما مونسي. ولا واحدة منهما. ليستا كتالانيتان ولا من ريوس ولا شيء.

باولينو: إذاً...

كارميلا: واحدة فوضوية والأخرى شيوعية.

باولينو: يا للروعة.

كارميلا: لنرى كيف تختلط عليك. واحدة تنتمي لمنظمة الفوضويين الإيبيرية والأخرى للحزب الشيوعي الإسباني.

باولينو: ألم تقتل واحدة منهما الأخرى حتى الآن؟
كارميلا: كيف ستتقاتلان إذا كانتا ميتتان؟ على العكس: لقد عقدتا صداقة متينة... تتناقشان كثيراً، هذا هو، وتعيبان على بعضهما البعض، وباللغة الكاتلانية، ولا شيء آخر... أن يصلا للضرب بالأيدي، لماذا؟
باولينو: طيب. وهذا النادي...؟
كارميلا: ها أنت ترى... كل هذا من أجل تنشيط الذاكرة.
باولينو: ماذا تعنين؟
كارميلا: لأجل أن نحكي كل ما حصل، ولماذا، ومنْ عمل هذا، وماذا قال ذاك...
باولينو: ولم كل هذا؟
كارميلا: لكي نتذكر كل شيء.
باولينو: لمنْ؟
كارميلا: لنا... للذين سيصلون بعدنا...
باولينو: (بعد وقفة) تذكر كل شيء...
كارميلا: نعم حفظه... لأن الأحياء منكم ما أن تمتلئ معدتكم وترتدون ربطة، تنسون كل شيء. وهناك أشياء من...
باولينو: تقولينه لي؟ أتعتقدين أنني نسيت شيئاً؟
كارميلا: لا، لا أقوله لك... على الرغم، لترى أنت... دعْ الوقت يمضي، ونتحدث بعد ذلك...
باولينو: نتحدث بعد ذلك... متى؟
كارميلا: حسناً، مجرد قول.

(صمت. يبقى كل منهما مع نفسه، كما لو أنهما في مكانين مختلفين)

باولينو: وعندما يقرصك هذا، ماذا تشعرين؟

كارميلا: سنتحدث لاحقاً... هناك.

باولينو: قولي... ماذا تشعرين؟

كارميلا: ستصلون كلكم إلى هناك، وسنتحدث.

باولينو: من المؤكد أنه قد قرص خلفيتك... هذا هو؟

كارميلا: البعض للآخر.

باولينو: العمال ما أن يروا عجيزة سهلة، هات قرص!

كارميلا: ببندقية، معدومون أو بالعصي...

باولينو: (يقرصها في عجيزتها) ماذا تشعرين؟

كارميلا: أو في الفراش، أو برشح لم يعالج...

باولينو: لا تشعرين بشيء؟... لو تشائين تركتك تقبليني...

كارميلا: عاجلاً أم آجلاً...

باولينو: ألا تسمعيني؟ قبليني لمرة واحدة، ولنرى ما يحصل...

كارميلا: في الحرب أو في السلم، أو في حرب أخرى، أو في...

باولينو: سأقبلك أنا... (يقبلها، هي تبدو غائبة) أعجبتك؟

كارميلا: الأحياء لا تتناوشون ولو بالطلقات...

باولينو: أعجبك يا كارميلا؟ تشعرين بها؟ (يقبلها مرة أخرى).

كارميلا: ولا بالطلقات...

باولينو: (متأججاً) قولي لي فيما لو تشعرين بها، سحقاً! (يقبلها ويحتضنها بقوة) ماذا؟

كارميلا: لكننا سننتظركم هناك...

باولينو: (غاضباً وخائفاً) لماذا لا تردين عليّ؟ (يهزها) كارميلا، قولي شيئاً! أنظري لي! ما الذي يجري لك؟

كارميلا: وأن تتذكر... تتذكر...

باولينو: (يصفعها) لنرى إن كنت تشعرين بهذا!

كارميلا: وسنتحدث... سنتحدث...

باولينو: (يضربها بعنف) وهذا! وهذا! (يحتضنها بشراسة) كارميلا!

كارميلا: (تنطر مندهشة للصالة) أنظر إليهم!

باولينو: (جافلاً، يرخي ذراعيه ويعود) ماذا؟ منْ هناك؟

كارميلا: هناك، في الصالة... (مبتسمة) أنظر إليهم!

باولينو: منْ؟ لا أرى أحداً هناك...

كارميلا: أجل... ألا تراهم؟ في الصالة، منتعشون...

باولينو: منْ هم في الصالة؟

كارميلا: المحاربون... محاربو القوات الدولية؛ بولنديون وفرنسيون وأميركيون...

باولينو: (يتمعن، قلقاً، الصالة) لا تقولي حماقات يا كارميلا...

كارميلا: (للمحاربين) أهلاً أيها الرفاق...

باولينو: كارميلا، رجاء... لقد قتلوهم في ذلك اليوم... ورأيت بعيني كيف ألقوا بهم إلى الحفرة، مع آخرين كثر...

كارميلا: (لا تستمع له) ماذا، نستمتع بوقتنا؟

باولينو: أقول لك ألا أحد هناك... وهؤلاء لا أثر لهم...هؤلاء...

كارميلا: (على نفس الوتيرة) أنا أيضاً... هنا لا نمضيه بسوء.

باولينو: رجاء كارميلا... تعالي معي... لنمضي من هنا...

كارميلا: واليوم أفضل من تلك الليلة، أليس كذلك؟

باولينو: أن تكون حياً وتتصور أشياءً، لكن... أن تكون للميت تهيؤات!

كارميلا: يا لسوء ما نمر به! لأنني أنا أبدو مقتنعة، أغني وأرقص، لكن... التغيير يأتي من الداخل... الواحدة منا وهي المتمرسة...

باولينو: هذا كثير عليّ يا كارميلا... أنا سأمضي.

كارميلا: لا... (تضحك) عن التغيير هذا طريقة للحديث، شيء ما يقال هنا...

باولينو: أقول لك إنني سأذهب، كارميلا... ما ينقصنا فقط أن يظهر هنا ذو الرأس المشجوج...

كارميلا: إسمع! كيف يمكننا التفاهم؟... لأنكم أنتم، لا أعرف بأية لغة تحدثوني، لكنني أفهمكم... وانتم تفهموني؟ يا للظرافة! (تضحك) يبدو أنه لأنكم... لأنكم متم في إسبانيا، ستمضون وأنتم تتحدثون الإسبانية... يا للعجب!... الشيء نفسه عندما تولد في بلد... هذا هو!

باولينو: لن أتحمل المزيد يا كارميلا... وداعاً... سنتحدث...

كارميلا: (تستمر مستمتعة جداً) على الأقل بهذه الطريقة تعرفون قول أين متم... لنرى، أنت بولندي: قلْ بلشيته... أجل، هكذا... بلشيته... وآراغون، تعرفون نطقها؟... آراغون... لا: آراغون... أجل: آراغون... إسبانيا، تقولونها بشكل جيد، أليس كذلك؟... لا... (مبتسمة) هكذا، لا... هكذا؛ نيا... إسبانيا... نيا... سهل جداً... إسبانيا... إسبانيا...

(يقطع باولينو خشبة المسرح حاملاً الغرامفون دون أن ينظر لـــ كارميلا. بدون تفسير مقنع، يبدأ في سماع أغنيـــة "آه يـــا كـــارميلا!". يتوقف باولينو، جافلاً، ينظر من حوله. كارميلا، التي على ما يبدو أنها لا تسمع الأغنية، تستمر بتعليمهم كيفية نطق إسبانيا...).

إظلام تام